الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التـــعليـــــم العـالــي والبحـــث العلمـــي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المـركز الجامعـي عبد الحفيـظ بو الصـوف –ميلة–

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

مُحـمد البَشيـر الإبـراهِيـمِي

خطبة"العـربية: فضـلها علـى العلـم والمدنيـة..."

"دراسة موضوعاتية فنية"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبتين:

- سعيود شهلة
- أعزيز رفيقة

إشراف:

د/ إبراهيم لقان

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	د.عمار قرايري	أ. محاضر	ميلة	رئيسا
2	د. إبراهيم لقان	أ. محاضر "أ"	ميلة	مشرفا ومقررا
3	د.عبدالكريم طبيش	أ. محاضر	ميلة	مناقشا

السنة الجامعية:2023/2022

شكر وعرفان

قد يعجز المرء على رد الجميل لذوي الفضل وقد لا تطاوعه أساليب التعبير عن معاني الشكر والعرفان فالشكر لله أولا، وانطلاقا من مقولة رسول الله "ص"

"من لا يشكر الناس لا يشكر الله "

نتوجه بالشكر الجزيل والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في إنجاز هذه المذكرة ونخص بالذكر أستاذنا الفاضل الدكتور "إبراهيم لقان" على جهوده ونصائحه التي كانت لنا خير مرشد جزاه الله عنا كل خير، إلى كل من علمنا حرفا إلى جميع الاساتذة بقسم اللغة والأدب العربي

شكرا جزيلا.

شهلة، رفيقة

إهداء

إلى أماني ومأمني ومسكني،

إلى قدوتي الأولى ونبراسي الذي ينير دربي... إلى أبي الحبيب حفظه الله.

إلى التي أعطت وضحت نبع الحنان والأمان...أمي الغالية أطال الله في عمرها.

إلى أخواتي العزيزات حبيبات قلبي (هاجر، زينب، شيماء، حليمة)

إلى أخوي العزيزين (نوح، اسلام)

إلى قطعة من قلبي إلى كتاكيت العائلة (آمنة، براءة، محمد، رزان، مريم، جنى، مجد)

إلى من شددت بهم أزري وأشركتهم أمري إلى رفيقات المشوار

(رفيقة، ريان، عائشة، هاجر، سلمى ، خلود) رعاهم الله

شـــهـــلـــة

إهداء

إلى نبع الحنان والحياة

إلى الشمعة التي تنير حياتي ...إلى التي تشقى لتسعدني وتتعب لتريحني إلى ...أمي الغالية .

إلى المعين والمرشد في حياتي

إلى الذي عانى من أجل تنشئتي وتقويمي إلى ...أبي الغالي.

إلى الذين كانوا السند القوي في مشواري

إلى أخواتي..(بشرى، دلال،)الى أخوي (نبيل ،نعيم)، الى زوجة أخي (سناء).

إلى صغار العائلة.....(روان، رتاج ،رناد).

إلى رفيقات المشوار التي قاسمنني لحظاته رعاهم الله ووفقهم .....(شهلة، عائشة، ريان، هاجر، حليمة، خلود، نريمان)

وإلى كل من لهم الأثر في حياتي وأخص بالذكر .... (رابح، خالد، حسين).

رفيقة

مقدمة

مقدمـــة

الخطابة أحد الفنون النثرية التي شغلت مساحة واسعة وسط فنون النثر المختلفة والتي عرفت منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، فكان لها حضور في مختلف عصور الأدب العربي مما جعلها في تطور وازدهار مستمر وشغلت بذلك مكانة مهمة وسط الفنون النثرية الشفهية مما جعلها محل اهتمام ودراسة لكثير من الباحثين، ونشير إلى أن الخطابة في الأدب الجزائري تطورت عبر مراحل مختلفة ولعبت بذلك دورا هاما فيما يتصل بالقضايا الاجتماعية والسياسية للشعب أو فيما يتعلق بالناحية الأدبية والثقافية فاتسعت موضوعاتها في العصر الحديث وتطورت شكلا ومضمونا.

وكان لرجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الدور الأسمى في تقدم هذا الفن وتطوره في الجزائر، ووصوله لما هو عليه الآن ومن الخطباء الذين برزوا في هذا الفن وأبدعوا فيه نذكر الإمام "الشيخ محمد البشير الابراهيمي" أحد أهم أعمدة الحركة الإصلاحية في ميدان الخطابة والتدريس والقلم، باشر العمل الإصلاحي وأثرى جمعية العلماء المسلمين بسعة اطلاعه ومقدرته في مجال الدعوة والإرشاد فكان بذلك خطيبا جريئا مرتجلا ومؤثرا له العديد من الخطابات والمحاضرات والمقالات، وقد تناولنا في هذه الدراسة إحدى خطب محمد البشير الإبراهيمي الموسومة " **العربية: فضلها على العلم والمدنية وأثرها في الأمم غير العربية**"، باعتبارها خطبة تحمل في طياتها مضامين متعددة وأساسها اللغة العربية وقد اخترنا نحن دراستها دراسة، موضوعاتية فنية لما تحتويه من سمات وخصائص فنية تحتاج للدراسة والإستبيان وعلى هذا الأساس فإن الإشكالية التي تبعث من خلال هذا الموضوع هي: كيف كانت الخطابة في الأدب الجزائري؟ بماذا تميزت الخطابة عند البشير الإبراهيمي؟ وما هي مضامين خطبته؟ ولأي مدى تجسدت سمات الخطابة الفنية في الخطبة موضوع الدراسة؟

وقد دفعنا لاختيار هذا الموضوع رغبتنا في استجلاء بلاغة الخطيب ومعرفة طريقة تعامله مع خطبه، بالإضافة إلى تيقننا بضرورة الإهتمام بدراسة النصوص النثرية التي لا نقول عنها أنها بقيت خارج حيّز البحث، و إنما هناك نقص في هذه الدراسات مقارنة بما هي عليه في مجال الشعر، أما بالنسبة **للدراسات السابقة لهذا الموضوع**، فلم نجد- حسب بحثنا هذا- من تصدى لهذه الخطبة بدراسة موضوعاتية فنية .

و تكمن **أهداف البحث** في الخروج من حيّز الشعر وكذلك الحيّز الذي تنحصر فيه جل الدراسات على خطب بعينها دون تجاوزها إلى غيرها كخطب الشيخ عبد الحميد بن باديس على سبيل المثال، وقد اقتضت طبيعة الموضوع اعتماد **المنهج الفني مستعينين بالمنهج التاريخي في بعض أجزاء البحث.**

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة قسمنا البحث إلى : مقدمة، مدخل ، فصلين، خاتمة، أما المدخل فخصصناه لضبط الجانب النظري، إذ تحدثنا فيه عن مفهوم الخطابة (لغة و اصطلاحا)، كما احتوى المدخل كذلك على الخطابة في الأدب الجزائري بمراحلها وكذلك الخطابة عند البشير الابراهيمي ، أما بالنسبة للفصلين فقد خصصنا الفصل الأول للدراسة الموضوعاتية تطرقنا فيه للمضامين التي عالجها الإبراهيمي في خطبته موضوع الدراسة، أما الفصل الثاني فكان للدراسة الفنية حيث تناولنا فيه ما ورد في الخطبة من أساليب(إنشائية وخبرية)، وخصائص فنية للبشير الإبراهيمي كالتكرار، والخروج عن المألوف، والإقتباس وغيرها، وكذلك بعض أنواع علم البيان كالاستعارة و الكناية والمجاز..، إضافة إلى أبواب علم البديع من جناس و طباق ومقابلة...

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها: أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي بجزئيه الأول والثالث، أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبديع، ومن الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث قلة الدراسات التي تتعلق بهذه الخطبة مما جعلنا نبذل جهدا فرديا لسبر أغوارها الموضوعية، غير أن الحافز أن عون الله ميسور لمن طلبه، بالإضافة إلى عون ذوي العلم من الأساتذة

النبلاء الذين نخصهم بالشكر وعلى رأسهم الأستاذ المشرف الدكتور: **إبراهيم لقان** الذي كان نعم المرشد حيث سهل الصعوبات أمامنا للخوض في متن هذا البحث فله منا جزيل الشكر و التقدير.

و في الأخير لا ندعي الكمال لهذا البحث لأن الكمال لله عز وجل، و إنما حسبنا أننا اجتهدنا و لله الحمد.

مدخل

مصطلحات العنوان

أولا: مفهوم الخطابة

1- لغة

2- اصطلاحا

ثانيا: الخطابة في الأدب الجزائري

ثالثا: الخطابة عند البشير الإبراهيمي

أولا: مفهوم الخطابة

1- لغة

اشتق لفظ الخطابة من المادة اللغوية (خ. ط. ب) التي تدل على معان كثيرة في المعاجم العربية.

جاء في لسان العرب لإبن منظور (ت711هـ) : " خطب"، الخطب: الشأن أو الأمر صغر أو عظم، وقيل: هو سبب الأمر. يقال ما خطبك؟ أي ما أمرك؟، ويقول: هذا خطب جليل وخطب يسير. والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال؛ ومنه قولهم جل الخطب أي عظم الأمر و الشأن وفي حديث عمر، وقد افطروا في يوم غيم من رمضان، فقال: الخطب يسير. [1]

ومنه فالخطابة عند ابن منظور هي الشأن و الأمر والحال وكل لفظة تفهم حسب السياق الذي ترد فيه .

وقد ورد في القرآن الكريم لفظة الخطابة في قوله تعالى: (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا اَلْمُرْسَلُونَ) سورة الذريات: الآية 31

وكذلك قوله تعالى : (وَعِبَادُ اُلرَّحْمَٰنِ اِلذِينَ يَمْشُونَ عَلَي اَلاَرْضِ هَوْنا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ اُلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰما) سورة الفرقان: الآية 63

اذ عرفه الخليل في معجمه: " الخطب هو سبب الأمر و الخطاب مراجعة الكلام والخطبة مصدر الخطيب و خطب الخاطب على المنبر و اختطب خطابة "[2]

---

[1] – ابن منظور الانصاري (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين) : لسان العرب، دار صادر ،بيروت مج4، ط1، 1968، ص 1194-1195.

[2] – أبو عبد الرحمان الخليل ابن أحمد الفراهيدي(170هـ):العين ، تحقيق مهدي مخزومي وإبراهيم السامرائي ، د ط، دس،ج4، ص 222.

والزمخشري عرفها بأنها: " خطب": خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام و خطب الخطيب خطبة حسنة. وخطب الخاطب خطبة جميلة. كثر خطابها، وهذا خطبها وهذه خطبه وخطبته. [1]

يظهر من هذا التعريف للزمخشري أن الخطابة هي الكلام الحسن و الجميل الذي يلقيه الخطيب حتى يبين براعته في الإلقاء.

وجاء تعريف الخطابة في معجم التعريفات للجرجاني: " **هو قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعله الخطباء و الوعاظ.**" [2]

والملاحظ في تعريف الجرجاني أنه لم يفصل في تعريفه للخطابة بل بين معناها بمفهوم عام دون شرح ولا توضيح.

2- اصطلاحا

هناك جملة من التعريفات لهذا الفن الأدبي الذي حظي بإهتمام الكتاب والدارسين قديما وحديثا، ونحن نقدم البعض منها:

الخطابة (**فن من فنون الأدب النثري مختص بكلام يلقى أمام جمهور مستمع ويعرف بالخطبة، ويهدف الى توضيح أمر أو قضية هما مثار جدل لإفهام هذا الجمهور وتوجيهه واستمالته بإثارة عواطفه لاتخاذ موقف ما، هو الموقف الذي يرمي إليه الخطيب)** [3]

ونلاحظ أن هذا التعريف الأدبي يركز على المتلقي والخطيب معا، فهما عنصران متكاملان للوصول الى الغاية والهدف المراد .

---

[1]- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي) : أساس البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان،ج1 ، ط1998.ص320.

2- الجرجاني (علي بن محمد السيد الشريف): معجم التعريفات ، تص: محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ،القاهرة 2004،ص 87.

[3] - أنطوان القوال : فن الخطابة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان،ط1 ،1996،ص11.

وهي أيضا: **(فن أدبي هدفه التوجيه والتحويل و الإستمالة و الإقناع)**[1]

وهذا التعريف يركز على الأداة التي يستعملها الخطيب ألا وهي إقناع المتلقي .

وقد عرف أحمد محمد الحوفي الخطابة بقوله : **(هي فن مشافهة الجمهور وإقناعه و إستمالته فلا بد من مشافهة وإلا كانت كتابة أو شعرا مدونا ولا بد من جمهور يستمع وإلا كان الكلام حديثا أو وصية، ولا بد من الإقناع، وذلك بأن يوضح الخطيب رأيه للسامعين ويؤيده بالبراهين ثم لا بد من الإستمالة و المراد بها أن يهيج الخطيب نفوس سامعيه أو يهدئها ويقبض على زمام عواطفهم، يتصرف بها كيف يشاء سارا أو محزنا مضحكا أو مبكيا داعيا إلى الثورة أو السكينة)**[2]

ما نلاحظه من هذا التعريف أنه تعريف موجز شامل ركز فيه هو الآخر على الأداة و الطريقة التي يستعملها الخطيب في الإقناع والاستمالة و التأثير في المتلقي من خلالها

وتعرف الخطابة أيضا على أنها **(فن من فنون القول يخاطب به الجمهور و يتجه إلى الإقناع و الاستمالة عن طريق السمع و البصر معا، فالقدرة على النظر في كل ما يؤدي إلى الإقناع أساس هذا الفن و ما الإقناع إلا صرف ذهن الجمهور إلى تقبل ما يقال و السكون إليه و إشباع عواطفه و إرضاء عقله بالحجة و البرهان و ما الإستمالة إلى كسب تأييد الجمهور للقضية المعروضة واستجابة لما يراد منه ونقل ما في نفس الخطيب من الحماس لما يدعو إلى نفوس السامعين .)**[3]

ومنه فمحمد الطاهر درويش يرى أن أساس الخطابة و عمادها هو الإقناع و التأثير في السامعين من الجمهور.

---

[1] – جورج غريب : صدر الإسلام ، دار الثقافة ،بيروت ، لبنان ،ط4، 1983،ص57.

[2] – أحمد الحوفي : فن الخطابة ، دار النهضة للطباعة والنشر ، القاهرة ، دط ، ص05.

[3] – محمد طاهر درويش ، الخطابة في صدر الإسلام ، دار المعارف ، مصر، ط2 ، 1968، ص 1.

وبناء على ما سبق من تعريفات، نستنتج أن لكل تعريف خاصيته وأن هناك ما يجمع بين هذه التعريفات جميعا في بعض الخصائص و بخاصة تلك المتعلقة بالمتلقي كجذب القارئ و إستمالته .

وبعد هذه التعريفات المتنوعة و المتعددة لهذا الفن النثري يجب الإشارة إلى تطور هذا الفن عبر العصور الثلاثة عند العرب حيث شهدت الخطابة رواجا وازدهارا في العصر الجاهلي و عصر صدر الإسلام و العصر الأموي، وذلك لتوفر عوامل ازدهارها، ولأهميتها وقوة تأثيرها و لتوفر حرية القول خاصة، ففي العصر الجاهلي كانت الخطابة من أبرز الفنون القولية المعبرة عن أحوال المجتمع و لما ظهر الإسلام كانت الخطابة أول وسيلة استعملت للإعلان عن العقيدة الجديدة و الدعوة إليها و هذا ما جعلها تزدهر وتتطور وتعرف بأساليبها وتنوع أفكارها وقد جعلها الإسلام أحد الأركان الأساسية في صلاة الجمعة و العيدين و الحج أما في العصر الأموي، فقد عرفت من الرواج في هذا العصر مالم يكن في غيره من العصور وسبب ذلك يعود إلى الصراعات السياسية و الدينية بين الفرق الإسلامية التي جعلت من الخطابة لغة للتعبير، فتألقت (**الخطابة العربية عامة و السياسية خاصة و بلغت فيه غاية بعيدة من الرقي و الإزدهار**) [1]

وفي العصر العباسي بقيت الخطابة تسير على نفس خط الازدهار والتطور الذي عرفته في العصر الأموي لكنها سرعان ما فقدت مكانتها و صارت بلا طعم و لا لذة (**ثم غلبت العجمة على خلفائها فصارت الخطابة إلى الانقراض والضعف وأخدت نارها بالخمود بعد مضي المائة الأولى من العصر العباسي**)[2]

وهكذا وبعد مضي القرن الأول من هذا العصر تلاشت الخطابة مدة طويلة من الزمن وانطفئت نارها فلم يبق للخطابة عمودا تتكئ عليه.

---

[1] – احسان النص : الخطابة السياسية في عصر بني امية ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ص3.

[2] – ابراهيم البدوي : فن الخطابة ، دار القول الثابت ، تو : دار المحجة البيضاء(لبنان) ، ط3، 2008،ص62.

وفي العصر الحديث مع نهاية القرن التاسع عشر عادت الروح للخطابة **(حيث عادت دواعيها و اهتم الناس بأسلوب التعبير وبالكلمة الطيبة و بالقول الحسن وبدأت بالازدياد والتطور إلى زمننا الحالي إذ ذبت الحياة في مجالاتها السياسية و العقائدية من جديد)** [1]

أي أن الخطابة في هذا العصر أخدت مجرى جديدا سار بها نحو القمة وأصبحت تحمل في طياتها أشكالا وأنواعا مختلفة لها خصائصها و طرقها و أساليبها.

هذا باختصار موجز حول تاريخ فن الخطابة عند العرب حيث كان يجدر بنا أن نقدم مهادا تاريخيا حولها قبل أن نتحدث عن تطور هذا الفن الأدبي في الجزائر والمراحل التي مرت بها.

ثانيا: الخطابة في الأدب الجزائري

عرفت الخطابة في الجزائر مسارات مختلفة انتقلت عبرها من الوعظ والإرشاد تماشيا مع الوازع الديني والمنظومة الإجتماعية إلى النضج والتألق الفني عن طريق القول المحكم المبني على البيان العربي الجزل واللغة المتينة ذات العبارة الجميلة .

إنّ الخطابة في الجزائر مرّت بمراحل متعددة عرفت من خلالها تحولات وتغيرات و تطورات **(والمراحل الرئيسية التي مرت بها الخطابة هي عهد الأمير وعهد الأشراف والمرابطين ثم عهد المصلحين و الساسة)** [2]

ومن خلال هذا نذكر بإختصار هذه التطورات الحاصلة على مستوى هذا الفن النثري الأدبي خلال هذه المراحل المتمثلة في :

1- مرحلة عهد الأمير عبد القادر

لقد حمل الأمير وبعض المثقفين الجزائريين على عاتقهم الإهتمام بفن الخطابة لما فيها من ملكة وناصية للقول وأدركوا خطرها على الأعداء خاصة وأن فترة الاحتلال كانت

---

[1] – المرجع السابق ص 65.

[2] – أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1،ج8 ،1830–1954 ، ص 104.

مساعدة على الإهتمام بهذا النوع إذ تحرر الخطباء من التقليد الجامد و أبدعوا خطبا محكمة ذات صياغة فنية وجودة عالية و أصبحت الخطبة فنا هدفه الإبانة والإفصاح عن الرأي و الدعوة إلى محاربة العدو والحفاظ على الهوية الوطنية **(يلح المؤلف في حديثه عن الخطابة في عهد الأمير عبد القادر على مضمون الخطب و أساليبها المختلفة فينحصر المضمون في الدعوة إلى الجهاد والحث على الثبات أمام الأعداء الغزاة)**[1]

فالأمير عبد القادر كانت خطبه حماسية، ذات حس بلاغي عامر بالعواطف اتجاه الجيش و الرعية دون تكلف ولا زيادة، فحافظت على اللغة العربية وأبنيتها الأصيلة ، وظلت وفية لتقاليد القول النثري وأنماط الإقناع بأسلوب جزل قوي العبارة وهادف الغاية فابتعدت خطبه عن الركاكة والغموض، وامتازت بالنسج اللغوي البسيط، فكانت أغلب ألفاظها ومعانيها مقتبسة من القرآن والحديث ، فعبرت عن حال المجتمع وواقعه، وحياته في تلك الفترة الحساسة من تاريخنا الأمر الذي جعلها سجلا تاريخيا حافلا ساعد المؤرخين في كتابة تاريخنا الجزائري الحديث ، ومن أبرز الخطب التي تبين مكانة هذه الشخصية على الساحة الداخلية والخارجية ، تلك التي قدمها في بعث الحماسة وتحضير الجيش للقتال ، والتي يقول فيها: " **أما بعد : فلا يخفى أن الله تعالى قال في كتابه المجيد** (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَة وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ) وقال (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ)**. وهؤلاء القوم قد عاهدناهم فنكثوا، وصدقناهم فغدروا، وصابرناهم فلم يصبروا، وإن تركناهم وشأنهم فلا نلبث أن نراهم نكثوا بنا على حين غفلة، وهاهم قد خدعوا الدوائر والزمالة وغيرهم من ضعفاء الدين وحازوهم إليه. فما الذي يمنعنا من دفاعهم و مقاومتهم؟ ونحن موعودون بالنصر على أعدائنا فهيا بنا أيها المسلمون إلى الجهاد، و هملوا إليه باجتهاد، وارفعوا عن عواتقكم برود الكسل، وأزيلوا من قلوبكم دواعي الخوف و الوجل أما علمتم أن من مات منكم مات شهيدا ، ومن بقي نال الفخار**

[1] –محمد مصايف : النثر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1983، د ط، ص 130.

وعاش سعيدا " [1] وهي خطبة قوية جمعت بين دلالات عميقة وعاطفة متينة حاول فيها عبد القادر تقوية عزيمة الناس وذلك عن طريق الأسلوب المباشر واللغة السهلة البسيطة الموحية والحجج القوية .

2- مرحلة ما بعد الأمير عبد القادر

تراجعت الخطابة تراجعا كبيرا إلى حد الغياب حيث انعدمت الخطابات الراقية القوية وغاب الأسلوب الفني المحكم المترابط وضعفت عن أداء الدور المطلوب نتيجة الركود العسكري والسياسي ، وبسبب ما قام به المستعمر الفرنسي من حصار على اللغة العربية، سادت الأمية والجهل، فاتسمت الخطابة بالضعف كغيرها من الفنون الأدبية الأخرى، يرددها خطباء كان تعليمهم بسيطا وثقافتهم محدودة مما عرقل تطور هذا الفن في تلك الحقبة " **فقد هيمن الإستعمار على الواقع و أثر في مجرياته، فكان تأثيره قويا على أداة الخطابة (اللغة) التي ضعفت و كادت تختفي من الحياة الأدبية الثقافية، الأمر الذي أثر في أسلوب الخطابة كما أثر في غيرها من الفنون الأدبية النثرية، وكان أن انحصرت الخطابة في دائرة ضيقة بعيدة عن واقع المجتمع و ظروفه، و أوت مثل اللغة إلى المساجد والزوايا وباتت تقليدا لعصور الإنحطاط بل أشد ضعفا منها سواء من حيث أسلوبها أو موضوعها** ."[2]، أي أن الإستعمار كان السبب الرئيسي في تراجع الخطابة في هذه المرحلة فحصرها في مضامين محدودة.

3- مرحلة ظهور جمعية العلماء

بعد انتشار الفكر الإصلاحي و نشأة النوادي والجمعيات الثقافية وانتشار الصحافة، ظهرت خطابة متقدمة في مضمونها و أسلوبها " **إذ كان طبيعيا أن تنشط الخطابة في جو**

---

[1] – محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر، المطبعة التجارية ، الإسكندرية ، ج1، 1903 ، ص236.

[2] – عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث 1930-1974 ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ص 24،25.

يمتاز بالحركة والصراع والدعوة إلى فكر يستمد أصالته من العصور الذهبية للخطابة العربية ويعتمد على الفصاحة و البيان العربي المشرق " [1]

لقد تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتف حولها أدباء وخطباء مصلحون، فكانت لدينا خطابة ذات أسلوب متين و لغة مستمدة من القرآن والحديث إستعملها رواد هذه الجمعية كأداة ووسيلة لنشر أفكارهم الإصلاحية و إقناع الجماهير بها " **وعلى الرغم من أن معظم الخطب التي قالها رجال الفكر الإصلاحي لم تسجل ولم يعن بها الدارسون إلا أن ما بقي منها يدل على أن الخطابة تطورت كثيرا في أسلوبها ومحتواها . وأصبحت فنا يعتمد الموهبة والثقافة والارتجال في كثير من الأحيان، كما يدل أيضا على عناية المصلحين بهذا الفن الذي ساعدهم على نشر دعوتهم بين الجماهير التي كانت أمية في الأغلب "** [2]

وقد ظهر إلى جانب هؤلاء المصلحين في الخطابة خطباء آخرون (خطباء حزب الشعب) وكان التركيز فيها على الناحية السياسية الوطنية و مهاجمة الإستعمار بلغة جريئة صريحة .

و من أبرز أعلام الخطابة (خطباء الإصلاح) الذين اشتهروا بالفصاحة وقوة البيان نذكر: الشيخ إبن باديس الذي توفرت فيه شروط الخطيب المقنع و كذلك نجد: الطيب العقبي، السعيد الزاهري، العربي التبسي، أحمد توفيق المدني والبشير الإبراهيمي الذي كان لا يقل شأنا عن الشيخ إبن باديس في فن الخطابة .

وجملة القول أن الخطابة في النثر الجزائري كانت قد إستندت على التراث العربي القديم وتأثرت بالأساليب العريقة فيه، حيث إستخدم أصحابها السجع أحيانا و استشهدوا بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي القديم، فلعبت بذلك دورا هاما سواء

---

[1] – المرجع السابق ص 26.

[2] – عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث 1930–1974 ص 26.

فيما يتصل بالقضايا الإجتماعية أو السياسية للشعب أو فيما يتعلق بالناحية الأدبية و الثقافية.

ثالثا: الخطابة عند البشير الإبراهيمي

اشتهر الكثير من خطباء جمعية العلماء المسلمين حيث كان أغلبهم متمكنين في مجال الخطابة العامة وبعضهم جمع بين التعليم في المدرسة و الإمامة في المسجد والخطابة في الجمعية و الأعياد وكذا الوعظ والإرشاد لمختلف شرائح المجتمع الجزائري، ومن الخطباء البارزين نجد "البشير الإبراهيمي" الذي يقول عنه "عبد الله الركيبي": " **فكان الإبراهيمي من بعد– إبن باديس – أخطب خطباء الجزائر، وقد عم هذا التيار فكان المعلمون ...يحاولون أن يقلدوا مثل هؤلاء الفحول، كما كان تلاميذ معهد إبن باديس ذوي موهبة خاصة في إرتجال الكلام** "[1]. ولهذا اهتم رواد الجمعية بالخطابة لما لها من تأثير على الشعب الجزائري.

لقد إمتلك "البشير الإبراهيمي" ناصية القول و استوعب البيان العربي وتبحر في اللغة العربية و آدابها و إمتاز بالقدرة على توليد الكلام والموهبة الأدبية فأبدع في الخطابة حتى ذاع صيته ، فأضحى رائد هذا الفن فقد" **كان شديد المعارضة فصيحا لسانا ، ساعده على ذلك محصول من اللغة وفير، وإلمام بالأمثال وبراعة في حسن إجرائها في مضاربها ، ومعرفة عميقة بطرائق الكلام والقدرة على التصرف فيه** " [2] فكانت الخطابة عند "الإبراهيمي" على اختلاف أنواعها لا تخرج عن الإطار العام الذي تصب فيه كتاباته كلها، وهذا الإطار هو العروبة و الإسلام و الجزائر وهو المحور الذي دارت حوله أعمال جمعية العلماء و اتخذت منه شعارا لها (الإسلام ديننا ، العربية لغتنا و الجزائر وطننا) .

---

[1] – عبد المالك مرتاض :نهضة الادب العربي المعاصر في الجزائر 1925 –1954 ، النهضة الفكرية ، النهضة الصحفية و الأدبية ، النهضة التاريخية ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 1983م، ص63 .

[2] – عبد المالك مرتاض : فنون النثر الادبي في الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د ط، 1983، ص 281.

وما يلاحظ على خطب الإبراهيمي أنها لا تخلو من إقتباس أو تضمين كما أنها لا تخلو من الألفاظ العامية والأجنبية " **أما خطابة الإبراهيمي فتميزت بالطابع الأدبي والبلاغي و إستحضار المحفوظات و الشواهد وكان مؤثرا في الخاصة أكثر من العامة، وهو يجيد النكتة السريعة و اللمحة الدالة**".[1]

لقد عرف الإبراهيمي بإلقائه للخطب العديدة في الجزائر، في النوادي وفي إفتتاح المدارس والمساجد وإجتماعات جمعية العلماء وغيرها من المواقف والأحداث التي طالما صدت بخطب البشير، يقول **يوسف القرضاوي*** واصفا إياه : " **كان الشيخ إذا تحدث يتدفق كأنه البحر الثجاج ، ويتألق كأنه السراج الوهاج ، وأشهد أنه شدّ الحاضرين جميعا ببيانه الناصع وخطابه الرائع وسعة إطلاعه على الأدب والتاريخ واستشهاده بحكم البلغاء وروائع الشعراء** "

وبناء عليه، فالإبراهيمي كان له الدور الأسمى في تطور فن الخطابة في الجزائر حيث استغلها خير استغلال ووظفها للإرشاد والنصح والتوجيه وتوعية الشعب فغرس فيهم حب الوطن وجعل من بلدهم أولوية لهم .

[1] – أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ص 109.

* – عالم مصري مسلم وكاتب وفقيه وشاعر والرئيس السابق والمؤسس للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين و رئيس المجلس الأوروبي للإفتاء و البحوث .

الفصل الأول

دراسة موضوعاتية

أولا: اللغة العربية

ثانيا: فضل اللغة العربية على العلم والمدنية وأثرها في الأمم الأخرى

ثالثا: فضل اللغة العربية على الأمة الإسلامية

رابعا: اللغة العربية بين فضل الغريب وتقصير القريب

لقد عرف الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بتميزه وبراعته الخطابية والتي عالج فيها العديد من القضايا والموضوعات المختلفة حيث لاقت استحسانا كثيرا بين الشعب الجزائري والعرب عامة نظرا لكونها موضوعات تخدم اهتمامات هذا الشعب وتوجهاته الفكرية والاجتماعية والنفسية وللأجل ذلك إتخذ الإبراهيمي من هذا الفن النثري أداة تأثير في الناس ونشر الإصلاح فكانت خطبه متنوعة بين ما هي دينية والتي يهدف بها إلى غرس الإيمان الصحيح في النفوس وتقوية علاقة المؤمن بربه وتقربه له، وماهي سياسية للإصلاح المجال السياسي والتنديد بخطورة الإستعمار ومحاربة مخلفاته، (**وخطب أخرى كثيرة في مناسبات مختلفة في فتح مدارس جديدة لجمعية العلماء في شتى أنحاء الوطن، أو حين تبنى المساجد التي كان الشعب يؤسسها بماله الخاص، وكذلك له خطب كثيرة في رحلاته وجولاته داخل الوطن وخارجه شرقا وغربا مثل خطبته التي ألقاها في نادي القلم ببغداد عام 1953م ويومها قالت عنه صحف العراق أنه يشبه قس بن ساعدة)**[1].

ولعل الهدف الأساسي من هذه الخطب السابق ذكرها هو رغبة الإبراهيمي في تغيير مجتمعه إلى الأفضل وبناء شعب محب لوطنه ناضج في تفكيره قادر على النهوض بأمته ودفعها نحو القمة، ولا يخفى عن أحد أن مضمون الخطبة هو الركيزة الأساسية التي تبنى عليها، فالخطيب يبذل جهدا في إعداد هذا المضمون، مراعيا بذلك توفره على جوانب المقصد الذي يرمي إليه فينحني فيه الدقة ليكون مرتبا على قضية واحدة واضحة المعالم بعيدة عن التعقيد، وذلك بغية شد ذهن المتلقي وصرفه نحو ما فيه صلاح ذاته وأمته وفي سياق هذا العمل تصطبغ الخطبة مضامين مختلفة تكون نتيجة للتذوق المعرفي الواعي الذي يعتمده الخطيب في التأسيس لخطبته .

تجسد خطبة الإمام محمد البشير الإبراهيمي نائب جمعية العلماء المسلمين التي ألقاها في أحد أيام اجتماعها بعنوان " **العربية فضلها على العلم والمدنية ،وأثرها في الأمم غير**

[1] – عبد الله الركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث ، ص30.

العربية " المنشورة في مجلة الشهاب الجزء الأول المجلد الخامس عشر في فيفري1939م، نموذجا حيا للخطابة الهادفة التي تحمل بين كلماتها وسطورها أفكارا تهدف إلى حث الأمة ودعوتها للمحافظة على لغتها العربية واستبيان فضلها، وإن في دراستنا لهذه الخطبة وجدنا أنها تتضمن موضوعات مختلفة تحمل كما هائلا من النصح والإرشاد حيث أراد البشير الإبراهيمي إيصال المضمون العام التي تدور حوله هذه الموضوعات للأمة العربية الإسلامية الجزائرية خاصة والعربية عامة.

وبعد دراستنا للخطبة والتعمق في معانيها والخوض في أفكارها العديدة وفهم الهدف منها وجدنا أنها تحتوي على أربعة موضوعات أساسية وضع عليهم الإبراهيمي تركيزه ويمكن إيجاز هذه المضامين في النقاط التالية

أولا: العربية

إنّ اللغة العربية هي أحد أهم المضامين الأساسية التي تدور حولها هذه الخطبة، وتعتبر أيضا من أهم القضايا التي تناولها الإبراهيمي في مختلف كتاباته الشعرية والنثرية فقد إهتم بها إهتماما كبيرا وبيّن مكانتها في العديد من المواقف يقول " **اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية ولهذه اللغة على الأمة حقان أكيدان ... أحدهما أنها لغة دين الأمة ... والحق الثاني أنها لغة جنسها بحكم أن الأمة عربية الجنس ففي المحافظة عليها المحافظة عن الجنس والدين معا**" [1]،فاللغة العربية عند الإبراهيمي هي أحد أهم مقومات الأمة الجزائرية و أساسها وقيمة جوهرية كبرى في حياة كل أمة فهي الأداة التي تحمل الأفكار وتنقل المفاهيم فتقيم بذلك روابط الإتصال بين أبناء الأمة الواحدة .

ومن هذا المنطلق تناول الخطيب في خطبته هذه موضوع اللغة العربية محاضرا ومخاطبا حشدا من الجمهور العربي، فموضوع خطبته هذه هو موضوع تاريخي في الأصل

[1] – مازن صلاح محمد مطبقاني: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931–1939، تقديم أبو القاسم سعد الله، عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص102

يتحدث فيه عن اللغة وأصلها وأصل نشأتها يقول: "**وإن هذا الموضوع الذي سامني الأستاذ الكتابة فيه موضوع علمي تاريخي لا تعلق الحفاظة بأسبابه كلها ولا تقوى على جمع أطرافه...**" [1].

وأنه عمد في كتابته كتابة أدبية رصينة قوامها الخيال إلى جانب الحقيقة التاريخية ورمى من خلالها الإبراهيمي إلى وضع روح اللغة العربية في نفوس سامعيها قصد إثارة الحماسة فيهم وتوجيههم للإهتمام بلغتهم الأم يقول : " **لذلك كله سلكت في الكتابة مسلكا أدبيا يستمد من الخيال أكثر مما يستمد من الحقيقة ويعتمد على الخطابة أكثر مما يعتمد على البرهان ويرمي إلى إلهاب الحماس في نفوسكم أكثر مما يرمي إلى تقرير الحقائق فيها** ".[2]

إن اللغة العربية من اللغات السامية وهي أقدمها نشأة وتاريخا فاللغة العربية هي الأقرب إلى اللغة السامية كما يرى حنا الفاخوري1972 صاحب **كتاب" تاريخ الأدب العربي** أن العربية واحتباسها في جزيرة العرب لم تتعرض لما تعرضت له باقي اللغات السامية الأخرى من إختلاط فظلت بذلك محافظة على بقائها وأصالتها وحافظت على كل خصائص اللغة السامية الأم .

وقد أشار البشير الإبراهيمي إلى أصل هذه اللغة وأن إهتمام الإنسان باللغة يضرب في القدم وهي أساس الحضارات كلها يقول: " **انشقت اللغة العربية من أصلها السامي في عصور متوغلة في القدم وجرت في ألسنة هذه الأمة التي اجتمعت معها في مناسب المجد و أرومات الفخر، وشاء الله أن يكون ظهورها في تلك الجزير الجامعة بين صحو الجو وصفو الدو والمحبوة بجمال الطبيعة ومحاسن الفطرة** ..." [3]، اللغة العربية هي جزء لا

---

[1]– أحمد طالب الابراهيمي : آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1،ج1،(1929–1940) ص373.

[2] – المصدر نفسه ص 373.

[3]– المصدر نفسه ص374.

يتجزأ من الحضارات العربية والإسلامية فهي وحدة الأمة ومستودع حضارتها ومرآة فكرها يقول الإبراهيمي : "**وقد كانت هذه اللغة العربية ترجمانا صادقا لكثير من الحضارات المتعاقبة التي شادها العرب بجزيرتهم ،وفي أوضاع هذه اللغة إلى الآن من آثار تلك الحضارات بقايا وعليها من رونقها سمات...**" .[1]

أشار الإبراهيمي كذلك إلى ازدهار الحضارات المختلفة وتطورها بسبب اللغة التي هي أساس كل حضارة يقول : " **كانت لكل حضارة لغتها المعبرة عن محاسنها والكاشفة عن حقائقها ،وكان لتلك اللغات أثر بين في بقاء الحضارة وانتشارها وكل من بقاء الحضارة وانتشارها يتوقف على ما في اللغة من قوة وحياة واتساع**"[2]، فالحضارة تتكون من المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل هذه المكونات تتشكل عبر منظار اللغة يقول الإبراهيمي :

" **فاللغة من الحضارة جزء لا كالأجزاء كاللّسان من البدن عضو لا كالأعضاء**" [3]

لقد أدرك الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الأهمية العميقة للغة العربية وأنها عنوان الهوية ووعاء الفكر، وآداة التواصل ولسان الدين الحنيف بقرآنه وسنته وتراثه وحضارته، وعن فضلها على الشعوب الإسلامية حيث ذكر بأنهم انفتحوا على مختلف الحضارات الإنسانية فكانت على حد قوله سببا في تقارب تفكير الأمم وتشابه عقلياتهم وتمازج أذواقهم وتوحيد مشاربهم يقول في خطبته هذه :" **وقامت اللغة العربية ببيانها على أكمل وجه ، وكانت الأمة المدخرة لتشيّيد هذه الحضارة التي نسميها بحق الحضارة الإسلامية هي الأمة العربية**".[4]

---

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي : آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي، ص 374.

[2] – المصدر نفسه ص 375.

[3] – المصدر نفسه ص375.

[4] – المصدر نفسه ص375.

وبما أن الشيخ الإبراهيمي يخاطب جمهورا عربيا جزائريا، فكان لابد له من الإشارة إلى فضل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي هو أحد روادها في المحافظة على اللغة العربية وبعث الروح فيها من جديد بعد ما عانته من تهميش وتضييق بسبب الإستعمار .

يقول الدكتور عزالدين إبراهيم في هذا الشأن أن الإبراهيمي كان مدركا "**لأهمية اللغة العربية وأنها عنوان الهوية ، ووعاء الفكر وأداة التواصل ولسان الدين الحنيف لقرآنه وسنته وتراثه وقد بين مرارا أن المستعمر يحرص على محو هذه اللغة تعلما واستعمالا**".[1]

لذلك فقد كانت لجمعية العلماء المسلمين جهودا في التصدي لمحاولات المستعمر لضربها وطمسها وإستبدالها باللغات الأجنبية يقول في خطبته :" **واعلانا للمعنى الذي قامت جمعية العلماء بتحقيقه وهو إحياء هذه اللغة وإحياء الدين الذي ترجمت محاسنه واضطلعت بحمل أسراره** "[2] وفي قوله هذا أشار إلى اللغة العربية بالدين الإسلامي هذه العلاقة التي لا تنقطع فهما وجهان لعملة واحدة ولا تخلو هذه الخطبة من ذكر هذه العلاقة فقد أشار إليها الإبراهيمي في العديد من الأسطر والتي سوف نتناولها بالتفصيل في المواضيع القادمة .

وختاما فلغة الضّاد هي لغة أثبتت وجودها على مر الزمان وعبر القرون والحضارات المختلفة وذلك بسبب إفتتاحها وتطورها المستمر، فهي مصدر إلهام للعديد من الثقافات وهي شعاع من الأشعة الملهمة لذويها لبناء المستقبل بشكل أكثر تميزا وأنّ إسهامات الشيخ الإبراهيمي في الحفاظ على هذه اللغة، لغة القرآن ولغة الأجداد كثيرة متعددة لا تحصيها هذه الأسطر وسنتناول في ما هو قادم فضل هذه اللغة على العلم والمدنية وأهمية هذه اللغة في تقريب المسافات بين الدول و الحضارات وإلمامها بمختلف العلوم .

---

[1] – عزالدين إبراهيم : رؤية مشرقية لبعض إنجازات الإبراهيمي ، الملتقى الدولي للإمام محمد الشير الإبراهيمي الجزائر2005،ط1،دار العرب الإسلامي ،بيروت، 2006،ص152.

[2] – أحمد طالب الابراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ص373.

ثانيا: فضل اللغة العربية على العلم والمدنية وأثرها في الأمم الأخرى

1- فضل اللغة العربية على العلم والمعرفة

بالعلم تتطور الأمم والمجتمعات وتنهض فالعلم لدى أي أمة من الأمم عمادها وذخرها ودافعها ومحركها ومكانتها في جسد الأمة كمكانة العقل في جسم الإنسان إذا ضعف ضعفت أركانها المادية الأخرى وهرمت وتلاشت أما إذا كان قويا منتجا انعكست قوته على جميع مقومات الأمة المادية والمعنوية[1]، وقد عملت اللغة العربية على الإلمام بمختلف العلوم والمجالات و ما لبثت اللغة العربية أن أصبحت هي لغة العلم والعلوم على امتداد العالم ويؤكد البشير في خطبته هذه فضل اللغة العربية على العلم يقول :" **لو لم تكن اللغة العربية لغة عالمية لما وسعت علوم العالم ،وما العالم إذ ذاك إلا هذه الأمم التي نقل عنها المسلمون** "[2]. وفي نفس السياق يقول في مقطع آخر من الخطبة : "**قامت اللغة العربية في أقل من نصف قرن بترجمة علوم هذه الأمم ونظمها الاجتماعية وآدابها فوعت الفلسفة بجميع فروعها والرياضيات بجميع أصنافها ، والطب والهندسة والأدب والإجتماع وهذه هي العلوم التي تقوم عليها الحضارة العقلية في الأمم الغابرة والحاضرة ...**"[3]

لقد استوعبت العربية هذه العلوم المختلفة وكانت وعاء للنهضة العلمية التي عرفها مختلف هذه الأمم فاستطاع القدماء أن ينقلوا إليها العديد من العلوم والتي كان نقلها صعبا جدا يقول البشير في هذا الصدد:" **لو لم تكن اللغة العربية لغة مدنية وعمران، ولو لم تكن لغة متسعة الآفاق غنية بالمفردات والتراكيب ، -لما استطاع أسلافكم أن ينقلوا إليها علوم يونان- وآداب فارس والهند ،ولألزمتهم الحاجة إلى تلك العلوم بتعليم تلك اللغات ،ولو**

---

[1] - آسيا شرطيوي: الدعوة الى العلم في الشعر الجزائري الحديث: دراسة موضوعية تحليلية فنية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في أدب الحركة الوطنية 2008-2009 ، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة ص10.

[2] - أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ص376.

[3] - المصدر نفسه ص376.

فعلوا لأصبحوا عربا بعقول فارسية وأدمغة يونانية ولو وقع ذلك لتغير مجرى التاريخ برمته ".[1]

لقد استطاعت اللغة العربية أن تعبر عن تلك العلوم والفنون ولو كانت المستجدات أكثر لاستوعبتها لما فيها من طاقات تتمثل في وسائل تنميتها كالقياس، والتوليد، والنحت، والتغريب، ويشير الإبراهيمي إلى أن هذه العلوم هي الجزء الضروري والمهم في كل أمة والتي يكون إلمامها وجمعها قوة للأمة وضياعها وذهابها ضعفا لها يقول :"...**وهذا هو الجزء الضروري في الحياة الذي إما أن تنقله إليك فيكون قوة فيك، وإما أن تنتقل إليه في لغة غيرك فتكون قوة لغيرك .وقد تفطن أسلافنا لهذه الدقيقة فنقلوا العلم ولم ينتقلوا إليه** ".[2]

ويؤكد الإبراهيمي أن اللغة العربية إستطاعت أن تحافظ على هذا الجزء الضروري من الضياع يقول :" **وقد قامت لغتهم بحفظ هذا الجزء الضروري من الضياع بانتشاله من أيادي الغوائل وبنقله إلى الأواخر عن الأوائل وبذلك طوقت العالم منة لا يقوم بها الشكر ولولا العربية لضاع على العالم خير كثير** "[3]. ويشير الإبراهيمي كذلك الى أن مختلف العلوم التي اتكأت عليها الحضارة العربية لم تكن لتصلها لولا اللغة العربية يقول في ذلك :" **إن كثيرا من العلوم التي بنيت عليها الحضارة الغربية لم تصلها إلا عن طريق اللغة العربية بإجماع الباحثين منا ومنهم** "[4].وهناك بعض المنصفين من الحضارة الغربية يعترفون بفضل اللغة العربية على العلم والمدنية وأنه كان لبعض العلماء المسلمين الفضل في ذلك ويذكر الإبراهيمي هذا في خطبته يقول:" **وإن المنصفين منهم ليعترفون للغة العربية بهذا الفضل على العلم والمدنية ويوفونها حقها من التمجيد والاحترام ويعترفون لعلماء الإسلام بأنهم أساتذتهم في هذه العلوم ، عنهم أخذوها وعن لغتهم ترجموها وأنهم يحمدون للدهر أن هيأ**

---

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي ص 376.

[2] – المصدر نفسه، ص376.

[3] –المصدر نفسه ص376.

[4] – المصدر نفسه ص377.

لهم مجاورة المسلمين بالأندلس وصقلية وشمال إفريقيا وثغور الشام حتى أخدوا عنهم ما أخدوا و اقتبسوا ما اقتبسوا ..."[1]

إن من أهم السمات التي تميز اللغة العربية قدرتها الفائقة على التواصل الإجتماعي بتنوعه وغناه، فالعربية لغة غنية ودقيقة، فقد استوعبت التراثين العربي والإسلامي ومن ثم توسعت لتدخل في علاقة تكاملية مع مختلف الحضارات الغربية حتى أن المنصفون الغربيون الذين ذكرناهم سابقا ينتهجون بعض المناهج الدراسية الأندلسية على سبيل المثال إلى الآن في معاهدهم يقول :" **لا يزال هؤلاء المنصفون يذكرون فضل معاهد الأندلس العربية ومعاهد شمال افريقية ومعاهد الشام على الحضارة القائمة ، ولا يزالون ينتهجون بعض المناهج الدراسية الأندلسية في معاهدهم إلى الآن ولا يزالون يردون كل شيء إلى أصله ويعترفون لكل فاضل بفضله"**[2]

ومنه فاللغة العربية نقلت إلى البشرية في فترة ما أسس الحضارة وعوامل التقدم في العلوم والرياضيات والطب و الفلك والموسيقى وغيرها، ولا تزال تنقل إلى العالم اليوم المعارف الإسلامية الشاملة التي انبثقت عن الكتاب والسنة فالقرآن نزل بلسان عربي مبين ،وكانت ولا تزال الناقل الوحيد الأمين لعلوم ومعارف الحضارات التي سبقتها ويؤكد الإبراهيمي ذلك بقوله: "...**ولم تخدم علما خاصا بأمة وإنما خدمت العلم المشاع بين البشر بجميع فروعه النافعة ،ومن يستقرئ خاصية هذه اللغة لعلم الطب وحده يتبين مقدار ما أفاءت هذه اللغة على البشرية من خير ونفع**" [3]

لقد باتت اللغة العربية سيدة اللغات العالمية فهي لغة أعظم حضارة مؤثرة في تاريخ البشرية وربما هذا أهم ما ساعدها في الإلمام بمختلف العلوم يقول الإبراهيمي: "**وقد كانت هذه اللغة في القرون الوسطى يوم كان العالم كله يتخبط في ظلمات الجهل هي اللغة**

---

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي ص377.

[2] – المصدر نفسه ، ص377.

[3] – المصدر نفسه ص378.

الوحيدة التي احتضنت العلم وءاوته ونصرته" [1]، يشير الإبراهيمي في هذا الجانب ألا وهو فضل اللغة العربية على العلم إلى مسألة مهمة أخذت مسلكا خاطئا ألا وهو موقف الجاحدين للغة العربية والعقل العربي يقول: " **وهاهنا، أيها الاخوان، مسألة يجب الكشف عن حقيقتها، فقد كثرت فيها المغالطات وجنى عليها تعصب المتعصبين من ذوي الدخائل السيئة من الغربيين ومقلدتهم حتى أصبح باطلها حقا وكذبها صدقا ووهمها حقيقة ،وحتى أصبح هذا الوهم من المسلمات التي لا تقبل الجدل عند أبنائنا الذين تلقوا العلم على أيدي أولئك المتعصبين."**[2]

ويذكر الإبراهيمي في هذه الأسطر كيف أصبح هذا الوهم حقيقة لدى الأبناء العرب الذين تعلموا على أيادي الغرب المتعصبين وصدقوا هذه المسألة الخاطئة والتي تتناول أن العرب نقلوا العلوم نقلا مجردا خاليا من البحث والتنقيب يقول الإبراهيمي : "...**وهي أن العرب ليس لهم في ما ترجموا إلا النقل المجرد ،وأنهم لم يزيدوا شيئا في التراث الفكري الذي نقلوه وأن وظيفتهم في هذه الوساطة وظيفة الناقل الأمين الذي ينقل الشيء كما هو ملفوفا من يد الى يد**"[3] ويقول أيضا في نفس السياق " **أغلوطة ملأت كتب الكثير منهم وترددت على ألسنتهم يمهدون بها إلى وصم العربي بأنه بليد الفكر جامد القريحة سطحي التفكير مسدود الشهية العلمية، ويتوسلون بذلك إلى تزهيد العربي في مزايا إسلامه واحتقاره لها ولهم"** [4]وإن رجلا كالإبراهيمي حمل لواء الحفاظ على اللغة العربية وحمايتها من كل ما يشوبها لا يمكن أن لا يرد على مثل هذه المسائل التي تضر بعظمة هذه اللغة وبالعقل العربي، فيرد على ذلك بقوله : " **والحقيقة التي يؤيدها الواقع ويشهد بها المنصفين منهم أن العرب حينما نقلوا علوم الأوائل كما كانوا يسمونها نقلوا بدافع وجداني**

---

[1] – أحمد طالب الابراهيمي: آثار محمد البشير الابراهيمي ص378.

[2] – المصدر نفسه ص 377.

[3] – المصدر نفسه، ص377.

[4] – المصدر نفسه ص 377.

إلى العلم ورغبة ملحة فيه ،وأنهم نقلوا ليستقلوا وليستغلوا ولينتفعوا بثمرة ما نقلوا ولا يتم لهم هذا الاستقلال في العلم إلا بالتحميص والتصحيح "[1] .

ويذهب الإبراهيمي ليقيم الدليل ويظهر الحجة على كلامه هذا فيذكر بعض فضل العربي و لغته على العلوم المترجمة خاصة في عهد الترجمة ويقول : "**ومن الثابت عندنا أن عهد الترجمة كان عهد اضطراب في هذه العلوم المترجمة ردت فيه التبعة على المترجمين، ثم انجلت الرغوة وعمل الفكر العربي الوقاد عمله فصحح أغلاط الفلاسفة وصحح نظريات الرياضة، وجاء دور الإجتهاد في هذه العلوم فاستقل الفكر العربي بالفلسفة وكيفها على ذوقه الخاص، واستنبط في هذه العلوم طرائق وأنواعا لم تكن معروفة من قبل للأوائل، وصحح العلل وكشف عن الأوهام وانتقد انتقاد المستقل ...."**[2] ويؤكد على كلامه هذا بذكر أحد أهم الباحثين والكتاب والفلاسفة و الأدباء العرب الذين عرفوا بعلمهم وبما أضافوه للفلسفة والأدب ويقول الإبراهيمي : " **وما كان الفرابي وإبن سيناء وأبو سليمان المنطقي في المشارقة ولا إبن باجة وإبن طفيل وإبن برجان وإبن رشد وأبو الهذيل ، في الأندلسيين، بالمقلدين في علوم الأوائل"**[3] لقد أثبتت الترجمة على مر العصور أنها أقوى وسيلة تسمح للأفكار بالانتقال من حضارة إلى أخرى فظهر حوار الحضارات في أفضل صورة مؤثرة في الإنتاج الفلسفي والأدبي المترجم من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية.

ومنه فاللغة العربية وجذورها الضاربة في عمق التاريخ لدليل قاطع يوضح للعيان مدى سعتها لكل تجارب العرب وغير العرب وإحتمالها بتقلبات العلوم وإكتشافاتها الجديدة في كل عصر ولا من منكر أن اللغة العربية بعد الفتح الإسلامي لم تكتب القدسية الدينية فحسب بل تعدتها إلى اللغة المتخصصة والعلمية فكانت بذلك لغة مختلف العلوم.

---

[1] – أحمد طالب الابراهيمي: آثار محمد البشير الابراهيمي ص377.

[2] – المصدر نفسه، ص 378.

[3] – المصدر نفسه ص 378.

2- فضل اللغة العربية على المدنية

تعد الثقافة والمدنية مقياس للحضارة فيهما يقاس مدى الإرتقاء الحضاري وحين توجد ثقافة ومدنية توجد الحضارة وعندما تفقد الحضارة أحداهما لا يكون هناك تطور ولا ارتقاء فالمدنية تعني الجانب المادي في الحضارة ، وهي قطعا لا تعني السكن في المدينة بشكل رئيسي، وإنما تعني الإنتقال في طريقة العيش من الأساليب القديمة إلى أسلوب جديد أكثر تطورا وتقدما من الأسلوب القديم ويشمل كل طرق عيش الإنسان بدء بالزراعة والصناعة والتجارة والعمران والخدمات الأخرى.

وإن لكل أمة مدنية خاصة بها وتختلف هذه الأخيرة من أمة الى أخرى وقد أشار الإبراهيمي في خطبته إلى المدنية يقول : " **وهذه المدنية التي تردد لفظها الألسن ويصطلح المؤرخون على نسبتها إلى أمم مختلفة ويميزون بينها بطوابع خاصة ويشتد المتعصبون في احتكارها لأمة دون أمة كأنها خلقت معها أو كأنها ذاتية لها** "[1]

ويعطي الإبراهيمي في هذه الخطبة تعريفا مختصرا للمدنية في نظره يقول: "**هي في الحقيقة تراث انساني تسلمه أمة إلى أمة وتأخذه أمة عن أمة فتزيد فيه أو تنقص منه بحسب ما يتهيأ لها من وسائل وما يؤثر فيها من عوامل**" [2]

عندما تبحث الأمة عن سبب تخلفها المادي والمعنوي وترغب في النهضة فلا بد لها أن تبدأ بالبحث من حولها من اكتشاف الخلل وإصلاحه ثم الشروع في تبني أدوات وآليات لإصلاح الخلل والنهوض بالأمة وبذلك تختار الأفضل لها وترمي السيئ منه وهذا ما ذكره الإبراهيمي في خطبته هذه يقول: "**وخير الأمم وأوفاها للمدنية هي الأمة التي تقوي الجهات**

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الابراهيمي، ص374.

[2] – المصدر نفسه ص374.

الصالحة في المدنية وتكمل النقائص الظاهرة فيها وتسعى في نشرها واشراك الناس كلهم في خيراتها ومنافعها"[1]

ويتحدث الإبراهيمي عن موضوع شغل مساحة لا بأس بها من اهتمام الباحثين والبحث في خلفياته وأسبابه وحقيقته ألا وهي احتكار المدنية ويعطي مثال على ذلك باحتكار الغربيين لمدنية اليوم والإحتكار كما هو معروف أو يساوي السيطرة يقول الشيخ الإبراهيمي :"**وقد أصبح احتكار المدنية للأمم خاصة تقليدا شائعا متعاصيا عن التحميص والنقد، ومن هذا الباب احتكار الغربيين للمدنية القائمة اليوم** "[2] ويكشف الإبراهيمي في نفس الأسطر حقيقة هؤلاء الغربيين التي تظهر من أول وهلة للعلن يقول : " **وما هي في الحقيقة إلا عصارة الحضارات القديمة ورثها الغربيون عمن تقدمهم، وقاموا عليها بالتزيين والتحسين والتلوين وطبعوها بالطوابع التي اقتضاها الوقت وانتحلوها لأنفسهم أصلا وفرعا، ولا تزال التنقيبات عن مخلفات الحضارات القديمة تكشف كل يوم جديد يفضح هؤلاء المحتكرين ويقلل من غرورهم"[3]**

إن المدنية مطلب الإنسانية لا يمكن أن تتحقق إلا إذا وجدت في الأمة طبقة ممتازة يهيئ لها جو خاص، تتوفر فيه أسباب العيش كي تحيا حياة نموذجية نسعى جميعا إلى احتذائها، هذه الطبقة ينبغي أن تتفرغ طيلة العمر، وألا تكلف بعمل من الأعمال، وأن تتوفر لها حرية الفكر، وألا يسند إليها الحكم لأن السلطان يفسد النفوس[4]

ومن هذا المنطلق يشير الإبراهيمي إلى أن الحضارة قديما كانت قائمة على الخضوع والاستبداد التي أثرت بذاتها على المدنية وأصبحت جزء منها يقول في خطبته : "**كانت**

---

[1] -- أحمد طالب الابراهيمي: آثار محمد البشير الابراهيمي ص374.

[2] – المصدر نفسه ص374.

[3] – المصدر نفسه، ص374.

[4] – كلايف بل: المدنية، تر: محمود محمود، القاهرة، المركز القومي لترجمة، 2009، 1346، ص4.

الحضارات القديمة تقوم على تعبد يسد شعور النفس البشرية بالخضوع الى قوة أكثر منها ،فإن لم يكن هذا التعبد حقا طغت عليه الخرافة وأصبحت الخرافة جزءا من المدنية "[1]

فإن من مميزات المدنية إعلاء شأن الفرد فوق الجماعة وإتاحة الفرصة لكل إمرء لكي يعبر عن نفسه تعبيرا حرا كاملا بغير قيود وبذلك فالتعبد والخضوع وغيره من الصفات التي تندرج تحت هذا المفهوم تخل بمفهوم المدنية يقول الإبراهيمي : "... **وتقوم على تشريع يوزع العدل بين الناس ويحفظ مصالحهم الدنيوية ، فإن لم يستند هذا التشريع على وحي سماوي أو نظام شوري طغى عليه التحكم والاستبداد وأصبح الاستبداد جزءا من تلك المدنية...** ". [2]

ويشير الإبراهيمي في حديثه عن المدنية إلى فضل اللغة وأهميتها في حفظ المدنية يقول:" **وخير اللغات ما كانت لسانا مبينا للمدنية تسهل على الناس سبيلها وتمد لهم مقيلها**"[3]. ويقول أيضا :" **وتقوم على لغة تسع تلك المدنية بيانا واضحا، فان ضاقت اللغة خسرت المدنية**" وهذا تأكيد على أهمية اللغة العربية التي حملت مدنيات مختلف الحضارات وعبرت عنها وعن فضائل كل أمة وحضارة ومميزاتها، حتى أنها كانت حلقة وصل بين مختلف الحضارات، يقول الشيخ الإبراهيمي:" **ازدهرت حضارات الأمم القديمة من العرب وفارس والهند والصين ومصر و اليونان والرومان وزخرت علومها، وكانت كلها مبنية على أصول عامة متشابهة، وكانت لكل حضارة لغتها المعبرة عن محاسنها والكاشفة عن حقائقها وكانت لتلك اللغات أثر بيّن في بقاء الحضارة و انتشارها ،وكل من بقاء الحضارة وانتشارها يتوقف على ما في اللغة من قوة وحياة واتساع ".**[4]

---

[1] –أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الابراهيمي، ص375.

[2] – المصدر نفسه ص375.

[3] – المصدر نفسه ص374.

[4] – المصدر نفسه ص375.

لا يتجاوز الإبراهيمي الحديث عن موضوع دون أن يذكر فضل الإسلام فيه وفضل المدنية التي جاء بها، هذه المدنية التي كانت محور التحول والتغيير، يقول:" **كانت هذه حال الحضارات إلى أن جاء الإسلام بالحضارة التي لا تبيد والمدنية المبنية على حكم الله وآداب النبوة، فكان التوحيد أساسها والفضائل أركانها والتشريع الإلهي العادل سياجها واللغة العربية الناصعة البيان الواسعة الأفق لسانها وبذلك كله أصبحت مهيمنة على المدنيات كلها** ..."[1] ولا يتحدث الإبراهيمي عن المدنية التي جاء بها الإسلام من فراغ فالإبراهيمي دائما ما يثبت كلامه بحجج ودلائل حقيقة واقعية فيبين في فقرة أخرى كيف كان للإسلام الأثر الكبير على العرب فأزاح لهم الستار عن بعض الخفايا وكشف لهم الغبار عن بعض مخلفات الأمم الذين سبقوهم والفضل كله يرجع للقرآن الكريم الذي أرشدهم إلى ذلك يقول:" **فهم العرب لأول عهدهم بالإسلام وبإرشاد القرآن أن هناك أمما قد خلت عمرت الأرض ومكن لها الله فيها، وكانت أكثر أموالا وأعز نفرا وأثبت آثارا، وامتثلوا أمر القرآن باليسر في الأرض و النظر في آثار تلك الأمم والاعتبار بمصائرها وعواقبها ...فكان هذا الارشاد القرآني المتكرر حفزا إلى التنقيب على آثار المدنيات القديمة والاطلاع على الصالح النافع منها والأخذ به** "[2]

إن الكتاب السماوي وصف الحضارات الماضية بأشكال قصص ذات العبر، أن يدعوا الإنسان الراهن إلى أن يتدبر فيها ويسعى من وراء هذا التدبر إلى بناء حضارات تقتبس مؤشراتها الصحيحة من تلك الحضارات، وتحترز عن عوامل انحطاطها ويؤكد الإبراهيمي عن هذه الفكرة بقوله :": **إن الفائدة الكبرى التي يعلقها القرآن على السير في الأرض والوقوف على آثار الأمم البائدة هي الإعتبار بحال الظالمين وعقبى الظالمين ليعلم المعتبر**

[1]– أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الابراهيمي ص375

[2] – المصدر نفسه، ص375.

أن الظلم هو سوس المدنيات فيقيم العدل، واذا جاء العدل جاء العمران واذا جاء العمران قامت المدنية وكان العدل سياجها والعلم سراجها ، وهذه هي مدنية الإسلام". [1]

فعلى الرغم من أن القرآن ينحصر في الدعوة إلى الله غالبا إلا أنه في العديد من آياته إشارة إلى إقامة نظام سياسي إلاهي أساسه القسط والعدل. قال الله تعالى :(يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلنَٰكَ خَلِيفَة فِي ٱلأَرضِ فَٱحكُم بَينَ ٱلنَّاسِ بِٱلحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُم عَذَاب شَدِيدُ بِمَا نَسُواْ يَومَ ٱلحِسَابِ) سورة ص:26

إن لكل أمة مدنية خاصة بها وإن مدنية الإسلام أخيرها فكان لدين الإسلامي والقرآن الكريم فضلا كبيرا في الحفاظ على المدنيات وإعادة ترتيبها وبنائها بناء صحيحا يخلوا من الشوائب يقول الإبراهيمي :" **كان من فضل القرآن على العالم أنه أبقى بهذا الإرشاد على علوم كادت تندرس وعلى آثار مدنيات كادت تنطمس**"[2]، ولا ننسى فضل اللغة العربية لغة القرآن التي مهدت الطريق في الحفاظ على مدنيات مختلفة الأمم العربية يقول الإبراهيمي :" **واللغة العربية هي التي سهلت لهذه الأمم المختلفة أسباب العلم والمدنية ومهدت لها الطرائق المؤدية إليها حتى أخدت كل أمة حظها منها** "[3].

وعليه فإن الإبراهيمي بين فضل اللغة العربية على العلم والمدنية وأشار إلى أهميتها في ذلك منذ القديم فاللغة هي المعبر الحقيقي التي تستند إليها أية حضارة تريد لنفسها البقاء وتحفظ مدنيتها من الزوال.

---

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الابراهيمي ص 376.

[2] – المصدر نفسه ص376.

[3] –المصدر نفسه، ص378.

ثالثا: فضل اللغة العربية على الأمة الإسلامية

إن بين العربية والإسلام وشائج قربى لا تقطع، وحبال صلة لا تفك، فهما متلاحمان متمازجان، لا يذكر أحدهما إلا ويستدعي الآخر، فبالإسلام حظيت العربية بشرف الخلود وتوجت بتاج الوقار، وبالعربية فهم الإسلام، وأنزل كتابه.[1]

فالعلاقة بين الإسلام والعربية لا تنقطع والإبراهيمي الذي وهب حياته للإسلام والعربية أفاض الحديث في هذه المسألة وإن المطلع على خطبه و رسائله وأعماله يخرج بتصور مفاده أن الشيخ –رحمه الله– يعتقد جازما أن العربية و الإسلام رباط مقدس لا انفصام له، و أن هذا الرباط يتمثل في القرآن الكريم، و من ثم فإن العمل على إحياء العربية والحفاظ عنها إنما هو عمل الإسلام، فاللغة العربية هي لغة القران حفظت بحفظه إلى يوم الدين قال تعالى(إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا ٱلذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ) الحجر/ 09.

لا يتوقف الإبراهيمي على إبراز العلاقة بين اللغة والدين وذلك بالإشارة إلى إدراك الأمة الإسلامية عامة والجزائرية خاصة لأهمية هذه العلاقة حيث يقول في مقال له بعنوان "**اختلاف ذهنين في معنى التعليم العربي**" **(لغة الأمة هي ترجمان أفكارها وخزانة أسرارها، والأمة الجزائرية ترى في اللغة العربية –زيادة على ذلك القدر المشترك– أنها حافظة دينها، مصححة عقائدها، ومدونة أحكامها، وأنها صلة بينها وبين ربها)**[2]

وبناء على هذه العلاقة التي تجمع بين العربية والإسلام فانه يحق لنا القول أنها ليست لغة للعرب فحسب، حيث يجري عليها ما يجري على اللغات الأخرى من تفاضل وتفاوت بل هي أشرف وأرفع من ذلك ولأن اللغة العربية هي لسان القرآن فإن لها من المزايا مالا يعد منها أنها ساهمت في توطيد أواصر الوحدة بين أبناء الأمة الإسلامية ويؤكد الإبراهيمي ذلك

---

[1] –مالك عوايدي: تغريب اللسان العربي وأثره على الانتماء في فكر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، جامعة سوق هراس مجلة ابوليس، ع5،جوان2016، ص 176.

[2] –أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الامام محمد البشير الابراهيمي دار الغرب الإسلامي، ط1،ج3:عيون البصائر،(1947–1952).

بقوله " **فاللغة العربية منذ دخلت في ركاب الإسلام على الأمم التي أظلها ظله كانت سببا في تقارب تفكيرهم وتشابه عقلياتهم وتمازج أذواقهم وتوحيد مشاربهم وأن هذا لمن المناهج السديدة في توحيد الأمم المختلفة الأجناس، ولولا العربية لاختلفت الأمم الإسلامية في فهم حقائق الدين باختلاف العقليات الجنسية، وقد وقع بعض هذا ولكنه من القلة بحيث لا يظهر أثره في الحركة العامة للأمة**".[1]

عندما انتشر الإسلام في أصقاع الأرض وبدأت الشعوب والأمم الدخول في الإسلام كان هناك اختلاف بينهم في جوانب متعددة كالعقائد والأفكار والقابلية والرفض وكانت اللغة العربية من عملت على توحيد هذه الأفكار وقيادة العقول وتوجيهها نحو الأفضل يقول الإبراهيمي" **إن الأمم التي دخلت في الإسلام متفاوتة الدرجات في الانفعالات النفسية وأنماط التفكير، متفاوتة في الإدراك والذكاء، متفاوتة في القابلية والإستعداد، متفاوتة في التصوير والتخيل، ولكن اللغة العربية فتحت عليها آفاق جديدة في كل ذلك ما كانت تعرفها لولا العربية، ودفعتها بما فيها من قوة وبما لها من سلطان إلى التفكير والتعقل على منهج متقارب، وحفزت الأفكار الخامدة إلى التحرك وزادت الأفكار المتحركة قوة على قوة** "[2].

فهذا ما للعربية من فضل في توحيد الأمم وأفكارهم وتوجهاتهم، فاللغة العربية هي لغة العقول يقول" **إن اللغة العربية هي التي قاربت بين الفكر الفارسي المنفعل القلق وبين الفكر البربري الرصين الهادئ ثم هيأت لكل فكر قابليته**"[3]

إن اللغة العربية هي الأداة التي نقلت الثقافة العربية عبر القرون وهي التي حملت الإسلام وما انبثق عنه من حضارات وثقافات فقد حملت رسالة الإسلام فغنيت بألفاظ كثيرة جديدة للتعبير عما جاء به الإسلام من مفاهيم وأفكار ونظم وقواعد وأخلاق، فاستند علماء الإسلام على العربية في البحث والتنقيب وذلك لأجل خدمة القرآن الكريم ومحاولة تيسير

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الابراهيمي، ص378

[2] – المصدر نفسه ص378

[3] – المصدر نفسه، ص378

فهمه ونطقه يقول الشيخ الإبراهيمي : " **واللغة العربية هي التي أفضلت على علماء الإسلام بكنوزها ودقائقها وأسرارها، و أمدتهم بتلك الثروة الهائلة من المصطلحات العلمية والفنية التي تعجز أية لغة من لغات العالم على إحضارها بدون استعانة واستعارة ...**" [1] فكان لفضل هذه اللغة أن كثر لعلماء العرب التأليف والكتابة فتعددت كتبهم ودراساتهم وأبحاثهم وانتشرت حول العالم يقول الإبراهيمي"...**فبحثوا في كل علم وبحثوا في كل فن وملأوا الدنيا مؤلفات ودواوين، ومن عرف كتاب أبي حنيفة الدينوري في النبات وكتاب أبي عبيدة في الخيل وكتاب الهمداني في تخطيط جزيرة العرب وكتاب الجاحظ في الحيوان وكتب الأئمة في الطب والنجوم والإبل، رأى العجب العجاب من اتساع هذه اللغة وغزارة مادتها وعلم مقدار أفضالها على الأمة العربية**"[2] فاللغة العربية هي لغة العلم والإبداع فشكلت بذلك الوعاء الحامل لقيم المجتمع وتراثه وفنونه وآدابه فكانت عنوان الإبداع المستمر و أساس الوجدان ورسم معالمه التعبيرية الجذابة فمن الخط إلى المسرح مرورا بالشعر وهذا ما أشار إليه الإبراهيمي بقوله "...**كما أن من يقرأ شعر الشعراء النفسيين من الفرس بهذه اللغة وشعر الشعراء الوصافين من الأندلس يتجلى له أي إفضال أفضلته العربية على تلك القرائح الوقادة التي وجدت في العربية فيضا لا ينقطع مدده....**"[3]

أشار الإبراهيمي وسط هذا إلى افتقار النهضة العربية الحاضرة في الشرق إلى الكثير من المصطلحات العلمية و الصناعية ويرجع سبب ذلك إلى كتب الأسلاف التي ضاعت فضاع معها محتواها العلمي الهائل يقول " ....**وأعتقد أنه لو كانت الكتب العلمية والفنية التي كتبها أسلافنا موجودة بين أيدينا ولم تغلها غوائل الدهر لوجدنا فيها من هذه المصطلحات ما يفي بحاجتنا أو يقارب، ولكنها –للأسف–ضاعت، وضاعت علينا**

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الابراهيمي، ص379.

[2] – المصدر نفسه ص379

3– المصدر نفسه، ص379

بضياعها ثروة لا تقوم بمال" [1] ويعطي الإبراهيمي نموذجا بأحد الكتب التي أخذت نصيبها من الضياع يقول "**هذا كتاب الحيوان لأبي حنيفة شدت في طلبه الرحال من عشرات السنين وأنفقت على تحصيله بدر المال، وتبارى هواة الكتب في طلبه في جميع أقطار الأرض، فلم يعثر له على أثر...."** [2]

وأخيرا يبدو مما سبق ذكره أن أكبر أهمية للغة العربية تتجلى في كونها لغة الدين الإسلامي وأنها اللغة الوحيدة التي تكفل توحيد الأمم الإسلامية دون غيرها من اللغات.

رابعا: اللغة العربية بين فضل الغريب وتقصير القريب

من المعروف أن اللغة العربية حازت على اهتمام الكثير من الباحثين و الدارسين وخاصة مع عصر التكنولوجيا لكن لا يخفى على أحد تعرضها في مقابل ذلك إلى التهميش ومواجهتها لتحديات كثيرة كانت ستؤدي إلى اختفائها لولا وجو بعض الأيادي التي دفعتها للنهوض والتقدم ومن خلال هذا يشير الإبراهيمي إلى أن هناك فريقان من المستعربين من علماء المشرقيات يتعاملان مع هذه اللغة بطريقة مختلفة الدواعي والبواعث يقول في خطبته:" **فريق ينظر إليها نظرة الهون والمصلحة فينادي بموتها ويعمل بموتها ويزهد فيها الناس ويتجنى عليها وينحلها العيوب. وفريق ينظر إليها نظرة العلم المجرد فيتعلمها بإخلاص ويحض على تعلمها ويشيد بذكرها في المحافل والكتب"**[3] فمنذ القرن الثامن عشر وفي غضون تلك الحقبة ...قضت بعض الدول الغربية وفي مقدمتها بريطانيا العظمى عمالها في بلاد العرب أن يتعلموا اللغة العربية فكان من تعلمها من أبنائها أكثر عددا من غيرهم من الأمم [4]

---

[1] – – أحمد طالب الابراهيمي: آثار محمد البشير الابراهيمي ص379.

[2] – المصدر نفسه ص379.

[3] – المصدر نفسه، ص380.

[4]–محمد كرد على: المستعربون من علماء المشرقيات، مجلة المجمع العلمي العربي،دمشق، م23، ج3، 1948 ص348.

وينبه الإبراهيمي الى أنه يجب الإشادة بالفضل لأصحاب الفريق الثاني لما يقدمونه لهذه اللغة يقول :" **وإن لهذا الفريق في خدمة هذه اللغة أيادي بيضاء يستحقون عليها الشكر العظيم من أبناء هذه اللغة .فكم كتبوا عنها مؤلفات وكم عقدوا للبحث عن دقائقها مؤتمرات، وكم طبعوا من أسفارها القيمة في اللغة والأدب و التاريخ والعلوم ، لو لم يكن من فضلهم عليها إلا إحياء أمهات علمية عجزنا نحن عن إحيائها لكان ذلك موجبا لعرفان جميلهم وإذا كان فضل العربية عليهم في القديم عظيما فقد قابلوا الفضل بفضل ولهم الشكر على كل حال.**" [1]

فاهتمام الغرب باللغة العربية كان منذ القديم فكانت جامعات ألمانيا تدرس العربية منذ أكثر من ثلاث مئة سنة وبعد ذلك جامعات بولونيا وبريطانيا العظمى، هكذا بدأ الاستعراب في العرب ونبغ مئات من بنيه في العربية وآدابها، كانوا من العوامل الكبرى في النهضة العربية الأخيرة بما أحيوا من كتب العرب القديمة وخدموها من أجل خدمة بمعارضتها على النسخ المتعددة بوضع الفهارس المنوعة لها ليسهل الانتفاع بها بسرعة [2]

وإذا نظرنا إلى جهود الغرب في الاهتمام بلغتنا العربية والأخذ منها والبحث من ورائها واستخراج علومها لوجدنا أنفسنا مقتصرين اتجاهها فلا نسير في الطريق الصحيح لخدمة هذه اللغة وما نفعله لها نحن كأمة عربية قليلة جدا، ويؤكد الإبراهيمي على ذلك بقوله :" **إن في هذه النقطة موضع اعتبار وهي أنه إذا كان الأجنبي عن هذه اللغة يعرف لها فضلها فيحي من آثارها ما استطاع ويحث قومه على تعلمها والاستفادة من ذخائرها، و حكومته ومن ورائه تجمع له مئات الآلاف من أسفارها القيمة ، فماذا صنعنا نحن ونحن أبنائها حقيقة؟.**" [3]

---

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الابراهيمي، ص380.

[2] – محمد كرد على: المستعربون من علماء المشرقيات ص348.

[3] – أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الابراهيمي، ص380.

إنّ تأسف الإبراهيمي على وضع هذه اللغة واضح جدا وإن الخوف الأكبر ليس على اللغة فقط بل على أهلها فالتخلي على اللغة وضياعها يعني ضياع الهوية وضعف الأمة، فالإهمال الصارخ الذي تتعرض له اللغة العربية على يد أبنائها والتقصير الفادح في العناية بأصولها وقواعدها والغربة التي تعاني منها لغة القرآن الكريم في عقر دارها وعلى ألسنة الناطقين بها كان له بالغ الأثر في المزاحمة الكثيرة من لغات العالم لها وإقصائها عن المرتبة التي تستحقها رغم الفارق الشاسع بين مرونتها واتساع آفاقها وبين جمود و ضيق آفاق غيرها من اللغات التي تتصدر لائحة الأكثر انتشارا في العالم اليوم ، وإن أولى مظاهر تقصير أبناء الأمة بلغتهم ذلك الفصل الغريب بينها وبين شؤون حياتهم اليومية التي هيمنت عليها اللهجات المحلية أو ما يسمى اللغة العامية التي طغت وفشت في جميع الدول العربية إلا ما رحم الله، لتصبح بذلك الفصحى حبيسة الكتب والمعاجم ومناهج التعليم والتدريس فحسب

لذلك على العرب أن يتخذوا ويرسموا خطط دقيقة تتوافق والحياة الجديدة في الحفاظ على هذه اللغة من الاندثار وغيابها وسط اللغات الأجنبية المنتشرة اليوم وأن نقف وقوف الحارس الأمين أمام لغتنا نحميها من كل مل يجعلها عرضة للاختفاء .

ومنه فاللغة العربية ومع تقدم العصر تستدعي اهتمام أكثر من غيرها حفاظا عليها وعلى قيمتها وعظمتها من الزوال فهم الأولى بهذه المهمة

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نقول أن اللغة العربية هي المادة الأساسية والموضوع الرئيسي التي ركز عليها الإبراهيمي في ثنايا هذه الخطبة فاعتبرها مصدرا حيا لتقدم الأمم وازدهارها وأشار بذلك إلى جوانب عديدة في لغتنا العربية منها أنها لغة التاريخ والدين والتراث وبأن اللغة العربية لغة توسع الآفاق وتصقل العقول وتهذب المشاعر وبأنها لغة العلم حفظت المدنية الإنسانية وأثرت في الأمم الأخرى تأثيرا إيجابيا يشهد عليه في مختلف أنحاء العالم وأننا بذلك حاولنا أن نتناول هذه المضامين ونحيط بها فيما يخدم، موضوع بحثنا فلا يسع لبحثنا هذا مقدار ما يحمله هذا الموضوع من بحث عميق ودراسة ضخمة حول هذه اللغة العريقة .

الفصل الثاني

الدراسة الفنية

أولا–اللغة والأسلوب

ثانيا–الصور البيانية

ثالثا–الموسيقى

إنّ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي متعدد المواهب يقول عنه عبد الرحمن شيبان* قبل أن يكون مفكرا مصلحا وسياسيا محنكا كان أدبيا شاعرا وخطيبا مفوها عالما فقيها في العربية خبيرا بأسرارها متطلعا في آدابها وفنونها فالإبراهيمي ينتمي إلى مدرسة الصنعة اللفظية التي أولت اهتمامها للشكل أكثر من المضمون فهو محافظ متأثر بهذه المدرسة التي تعني باختيار الألفاظ وتزيين العبارات بألوان البديع ودون إهمال المعنى.

أولا: اللغة والأسلوب

1-اللغة

تعد اللغة ظاهرة إنسانية محضة تميز بها الإنسان عن غيره من الكائنات حيث أنه يستعين بها للتعبير عن دواخله من أفكار ومشاعر بغيه التواصل مع الغير، فاللغة عاكسة للأفكار حيث أن هذه الأخيرة لا تبرز للعالم الخارجي إلا بواسطة اللغة، واللغة هي جملة الألفاظ التي هي حصون للمعاني إذ أن وظيفة اللغة تنحصر في التعبير على دلالة المعاني من خلال الألفاظ والكلمات واللغة عند الخطيب لا تقف عند حد التحدث بها بل تتعدى ذلك إلى تعلم علومها واستنباط أحكام وقواعد بناء تراكيب الجمل فيها، وهذا كله يعتمد على قواعد اللغة ولو بصفة مجملة دون التحصيص في فروعها.

حيث إن الألفاظ تتمتع بدلالات كثيرة تمكن الخطيب من التعبير عن المعاني التي ينشدها باعتبارها الوسيلة الدالة على مكنوناته ولذا ينبغي أن ينظر للكلمة قبل دخولها في التأليف.[1]

*- عبد الرحمن شيبان من مواليد 23 فيفري، ولد في قريه الشرفة دائرة مشدالة، ولاية البويرة ،الجزائر، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من سنه 1999 الى سنة 2011 عن عمر يناهز 93 سنة ، من الكتاب الدائمين في جريدة البصائر لسان حال جمعيه العلماء المسلمين الجزائريين، نوار حلواني (السيرة الذاتية لعبد الرحمن شيبان) جريدة البصائر لسان حال جمعيه العلماء المسلمين الجزائريين العدد 799 الجزائر 2016 ص01.

[1] - عبد القاهر الجرجاني (أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني) دلائل الاعجاز، تح محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط5، 2004م، ص 4 .

فحسن السبك والصوغ يطبع في الكلام حسن المعنى وذلك أن بلوغ غاية يكون باجتماع الألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة فمتى اجتمعا كان الكلام حسنا غير معيب، وقد تفرد الإبراهيمي باللغة فاستخدم لكل موضوع لغته الخاصة، فامتازت لغته بقوه التراكيب والدقة في اختيار الألفاظ والمعاني، فلغة المفردات لديه متفاوتة المستويات من حيث السهولة والصعوبة فبعض مفرداته ذات طبيعة إسلامية قرآنية، وبعضها الآخر غريب يحتاج إلى الدعوة للقاموس القديم للغة العربية وبعضها لا يحتاج لتأويل يكون سهل وبسيط.

في الخطبة التي بين أيدينا نجد تنوعا في الحقول الدلالية ذلك لأنه اعتمد على نسق من الألفاظ المتنوعة التي تخدم باجتماعها مع معانيها عده دلالات فتنوعت بين الحقل الديني (**القرآن، المسلمين، الله، الإسلام، الدين الإسلامي**) والتاريخي (**الحضارات السابقة، العصور المتوغلة في القدم، الأمم السابقة، التراث الإنساني، التراث الفكري، الأمم البائدة)** وغيرها يمكن أن نستنتجها بالتمعن في مدلولها، وإننا نجد لغة الإبراهيمي في الخطب تتمثل في استعماله لأدوات النداء والضمائر المخاطب وأدوات التوكيد والنفي والاستفهام وغيرها من الصيغ وكثيرا ما تكون لغته الخطابية مباشره خالية من التعقيد يسعى بها للتوعية والنصح والإرشاد جاء في خطبته (**أيها الإخوان، وها هنا، فماذا صنعنا نحن ونحن أبنائها حقيقة؟...)**، فقد كان حارصا على توظيف كل كلمة في سياقها الصحيح مراعيا بذلك حسن ملائمتها للمقام من جهة وحسن ملائمتها للمعاني وتناسقها مع غيرها من جهة أخرى، وهذا ما أكسب الكلمة قوة أدت إلى التأثير في النفوس، فالمتأمل في نص الخطبة التي بين أيدينا يرى قدره الإبراهيمي في اللعب بالألفاظ والعبارات وتوظيفها توظيفا صحيحا جاء في خطبته: **(كلفني الأستاذ الرئيس أن أحاضر هذا الجمع العربي الحاشد بكلمات في ناحية زاخرة من نواحي لغته الجليلة وجانب عامر من جوانبها الفسيحة وهو**

فضلها على العلم والمدنية وأثرها في الأمم غير العربية)[1] لقد استفتح الإبراهيمي خطبته بهذه الكلمات البسيطة تمهيدا للموضوع الذي سيتحدث عنه ينتقل الإبراهيمي بسلاسة ليخبرهم عن هذا الموضوع وما هي الطريقة التي اتبعها في كتابته والأسباب التي دفعته إلى الكتابة بهذا الأسلوب يقول: **(وإن هذا الموضوع الذي سامني الأستاذ الكتابة فيه موضوع علمي تاريخي لا تعلق الحافظة بأسبابه كلها ولا تقوى على جمع أطرافه وإنما عماده البحث والتنقيب وإقامة الشواهد وحشد النصوص وهذا ما لا يسعه وقت التكليف وهو يومان تتخلهما فروض المجلس الإداري وواجبات جمعيه العلماء لذلك كله سلكت في الكتابة مسلكا أدبيا يستمد من الخيال أكثر مما يستمد من الحقيقة ويعتمد على الخطابة أكثر مما يعتمد على البرهان ويرمي إلى إلهاب الحماس في نفوسكم أكثر مما يرمي إلى تقرير الحقائق فيها)**[2]، فالإبراهيمي هنا كان همه الوقوف على الحقيقة وإبرازها للمتلقي، فكان كلامه عفويا غير مبتذل موضحا لهم أسباب أنه سلك في كتابته للخطبة المسلك الأدبي لا العلمي التاريخي.

لا يتوقف الإبراهيمي هنا إنما ينساب في الكلام مخاطبا جمهوره بلغه بسيطة ينطبع عليها شخصيته وأفكاره متناولا بذلك موضوع اللغة العربية من جوانب متعددة أحصاها في هذه الأسطر معتمدا على الوصف والتقرير والبيان والبديع وحسن الكلام يقول:(**وشاء الله أن يكون ظهورها في تلك الجزيرة الجامعة بين صحو الجو وصفو الدو والمحبوة بجمال الطبيعة ومحاسن الفطرة لتتفتق أذهان عمار تلك الجزيرة عن روائع الحكمة مجلوة في معرض البيان بهذا اللسان)**[3] فالألفاظ هنا متناسقة راقيه متواترة في المعاني بمنتهى الدقة، ما يدل على ذلك أنها وفقت في نقل صورة الجزيرة العربية بطريقه مختلفة، غير ذلك ما نلاحظه في هذه الخطبة أن اللغة تلبس لباس السرد والتقرير نوعا ما فالإبراهيمي كأنه يسرد

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ص373.

[2] – أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ص373

[3] – المصدر نفسه،ص374.

أحداث تواجهها لغتنا وعايشتها في العديد من الأزمنة يقول: **(قامت اللغة العربية في أقل من نصف قرن بترجمة علوم هذه الأمة ونظمها الاجتماعية وآدابها فوعت الفلسفة بجميع فروعها والرياضيات بجميع أصنافها والطب والهندسة والآداب والاجتماع...)**[1] فاللغة هنا بسيطة سهلة مباشرة مدرجة للحقائق والمعلومات.

ومجمل القول أن الإبراهيمي يتعمد في خطبته هذه الإبتعاد عن الألفاظ الغريبة المعقدة حتى لا يشغل فكر المتلقي بالتأويل في العبارات وذلك تماشيا مع نوع الموضوع، فكان همه الوحيد صرفهم نحو القضية المهمة المتمثلة في تبيان فضل اللغة العربية وأهميتها وقد استطاعتّ ألفاظه على حمل هذه القضية النبيلة فكانت سهلة واضحة حسنة المضمون تتميز بالدقة وجودة النظم، لها من كل مقام مقال.

2-الأسلوب

إذا سمع الناس كلمة الأسلوب فهموا منها هذا العنصر اللفظي الذي يتألف من الكلمات فالجمل والعبارات، وربما قصروه على الأدب وحده دون سواه من العلوم والفنون، وهذا المفهوم يعوزه شيء من العمق والشمول ليكون أكثر انطباقا على ما يجب أن يؤديه هذا اللفظ والمعنى صحيح وذلك أن هذه الصورة اللفظية التي هي أول تلقى من الكلام لا يمكن أن تحيا تكون مستقلة، وإنما يرجع الفضل في نظامها اللغوي الظاهر إلى نظام آخر معنوي انتظم وتألف في نفس الكاتب أو المتكلم فكان بذلك أسلوبا معنويا...ومعنى هذا أن الأسلوب معان مرتبة قبل أن يكون ألفاظ منسقة . وهو يتكون في العقل قبل أن ينطق به اللسان أو يجري به القلم [2]

ومنه فالأسلوب هو طريقة يستعملها الكاتب في التعبير عنة موقفه والإبانة عن شخصيته الأدبية تميزه عن سواه لا سيما في اختيار المفردات وصياغة العبارات والتشابه

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي ، ص376.

[2] – أحمد الشايب: الأسلوب. دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبه النهضة المصرية، ط2 1945 ، ص 29.

والإيقاع فهو يركز على أساسيين أحدهما كثافة الأفكار الموضحة وضبطها وعمقها أو طرافتها، والثاني حسن اختيار المفردات وانتقاء التركيب الموافق لتأدية هذه الخواطر بحيث تأتي الصياغة محملا لتراكم ثقافة الأديب ومعاناته[1]. وقد ذهب الكثير إلى أن أسلوب الإبراهيمي في الكتابة يعد أرقى أساليب اللغة العربية وذلك من خلال حسن اختياره للألفاظ المناسبة التي تتناسق مع معانيها وأن القارئ للخطبة التي بين أيدينا و المتصفح لها والمتمعن فيها يكتشف مميزات الأسلوب الذي يعتمده الشيخ في أغلب كتاباته فتجده يزاوج بين الفصاحة والبلاغة تارة ويمازج بين المحسنات البديعية والصور البيانية تارة أخرى فنجد ذلك في مواطن عدة في خطبته يقول: "**فكان التوحيد أساسها و الفضائل أركانها والتشريع الإلهي العادل سياجها واللغة العربية الناصعة البيان الواسعة الأفق لسانها...**"[2] فهنا نلتمس ذلك الوصف الدقيق والبلاغي للحضارة الإسلامية بكلمات متناسقة تعكس فضائل هذه الحضارة فقد حرص على انتقاء ألفاظ سلسة خفيفة الوقع على الأذن لها نكهة خاصة وذوق مختلف .

والخطبة في بنيتها الفنية التي تتضمن مجموعة من الموضوعات وجب في صياغتها مراعاة إطار خاص لهذه الصياغة من حيث تلاؤم الأفكار وارتباطها ببعضها البعض، ثم ارتباط كل فكرة بالفكرة التي قبلها والفقرة بغيرها من الفقرات، وهكذا ارتباط كل موضوع بغيره من المواضيع السابقة وهذا ما تجسد في خطبة الإبراهيمي التي بين أيدينا من تسلسل في الأفكار و الموضوعات فالإبراهيمي يمتلك قدرة تأثيرية تصل إلى حد بث التغيير في النفوس فكانت للإبراهيمي في كتابته لهذه الخطبة صفة المؤرخ في تتبع الجذور العربية والبحث في جوانبها وصفة العالم في إثبات كلامه بالحجج والبراهين وصفة الأديب من خلال استعماله لأساليب الإقناع الأدبية التي وظفها فهو يخلق إثارة العاطفة والشعور في نفس المتلقي حيث أن اعتماده على الحجة الدامغة التي لاضير فيها يخلق بينه وبين المتلقي واقعة وجدانية

[1] – شريبط أحمد شريبط : تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية، دار القصبة للنشر، دط، 2009،ص50.

[2] – أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ص375.

تساهم في نجاح خطبه وتحقق أهدافها ومن الخصائص الفنية التي وظفها الإبراهيمي في خطبته هذه نذكر:

❖ **الحماس**

تميزت خطب الإبراهيمي بظاهرة الحماس الذي "يجب أن تحتويه الخطبة أكثر من مما يحتويه المقال وتتأرجح هذه الظاهرة الانفعالية عنده بين اللين تارة والشدة طورا آخر بحسب ما تقتضيه الحالة أو ما يمليه الموقف[1]، كقوله: **(كانت هذه حال الحضارات إلى أن جاء الإسلام بالحضارة التي لا تبيد والمدنية المبنية على حكم الله وآداب النبوة، فكان التوحيد أساسها والفضائل أركانها والتشريع الإلهي العادل سياجها واللغة العربية الناصعة البيان الواسعة الأفق لسانها)**[2]

❖ **الخروج عن المألوف**

كان الإبراهيمي يتصرف في مطالع خطبه فيخرج بها عن مألوف خطب العرب إذ كان يؤثر استعمال عبارة (أيها الإخوان) في نداء الحاضرين معللا ذلك بقوله : " **فمعذرة إلى إخواني الذين أعتز بأخوتهم إن خرجت عن النمط المألوف في رسوم الخطاب وخاطبتهم بيا أيها الإخوان**"[3] وقد تعددت هذه العبارة في الخطبة التي بين أيدينا بكثرة.

❖ **الاقتباس**

"وهو أن يضمن المتكلم كلامه شعرا كان أو نثرا شيئا من القرآن الكريم او الحديث الشريف"[4].

---

[1] –محمد عباس: البشير أدبيا، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية، الجزائر، ج2، ص465.

[2] – أحمد طالب الإبراهيمي: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ص375.

[3] – أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997، ج2 ، ص465.

[4] – زين كامل الخويسكي، أحمد محمود المصري: فنون البلاغة، ط1، دار الوفاء الدنيا الطباعة والنشر،2006م، ص227.

إن الاقتباس هو أحد أهم الظواهر التي وظفها الإبراهيمي في كتاباته فهي خاصية من خصائص الخطابة، الهدف منها الاعتبار والذكرى وإقامة الحجة والبرهان على الغاية المقصودة و الاقتباس يتخذ شكلين أولهما إيراده للآية كاملة وثانيهما توظيفه للألفاظ القرآنية دونما إشارة لسياقها القرآني وهذا النوع من الاقتباس هو ما وظف في هذه الخطبة كقوله:(وكانت أكثر أموالا و أعز نفرا وأثبت آثارا) حيث اقتبسها من قوله تعالى (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) سورة الكهف الآية :34

❖ **التكرار**

إن وجود التكرار يكون من أجل تقرير المعنى وتجميل الأسلوب بغرض إثبات المقصود وتمكينه في نفس السامع والتكرار اللفظي غايته عند الخطيب التأسيس لمعنى جديد يلفت به نظر المخاطب، ويثير اهتمامه كقوله :(**طغت عليه الخرافة وأصبحت الخرافة جزء من المدنية...)** وقوله أيضا:(**طغى عليه التحكم والاستبداد وأصبح الاستبداد جزء من تلك المدنية)** ،(**لابسها التزوير والكذب وأصبح التزوير والكذب)، (إن الأمم التي دخلت في الإسلام متفاوتة الدرجات في الانفعالات النفسية وأنماط التفكير، متفاوتة في الإدراك والذكاء، متفاوتة في القابلية و الاستعداد، متفاوتة في التصوير والتخيل).**

❖ **الاعتراض**

هو من محاسن الكلام في الشعر والنثر، وهو أن يعترض المتحدث بكلامه كلاما آخر قبل أن يتمم المعنى، ثم يعود إلى إتمامه[1].

ونجد موضع الاعتراض في الخطبة في قوله: (إشادة بفضل هذه اللغة الشريفة، في هذا الاحتفال العلمي ووفاء ببعض حقها علينا وحفزا لهممكم – وأنتم أبنائها البررة– أن تهن في خدمتها أو تقصر في حقها) ، وأيضا يتجسد في قوله : (وكان من آثار هذا التنبيه

[1] – ابن المعتز (أبو العباس عبد الله)، البديع، تح: عرفان مطرجي مؤسسة الكتب الثقافية لطباعة والنشر ،ط1 ، 2012م،ص108.

القرآني أن تفتحت أذهان المسلمين – ولا أعنيكم– إلى دراسة هذه المدنيات)، (ولكنها – للأسف – ضاعت، وضاعت علينا بضياعها ثروة لا تقوم بمال).

إن اعتماد الخطيب على الأسلوب البسيط كان سببا في سبك الألفاظ والمعاني بطريقة فريدة جعلت العبارات جزلة، فكانت بلاغته تحمل صفة السهل الممتنع ذلك أنه أوجد طريقة فريدة من نوعها ألف بها بين الفقرات فحقق الاتساق والانسجام وبغية استجلاء مواطن جمال الأسلوب في هذه الخطبة ستكون دراستنا وفقا للخطوات التالية:

أ–الأساليب الإنشائية والخبرية

يعد الأسلوب الفارق الجوهري بين اللغة العادية و الإبداعية، حيث أنه يزيد الخطبة وضوحا وقوة ويسهل للخطيب التنويع في بنيته، باعتماده على مصطلحات ترتبط بعضها ببعض، فالعبارات المتسلسلة في النص توجب التنويع في الأساليب فهذه الأساليب هي التي تكون الخطبة فتصبح نص متكاملا مفهوما وبدراستنا لخطبة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وجدنا نوع بين الأسلوب الخبري والإنشائي على النحو التالي

❖ **الأسلوب الخبري**

وهو أسلوب بلاغي يعطي للكلام الذي يقع فيه احتمالية الصدق والكذب، كما يشير إلى دلالة معينة في ظاهرة دون التصريح بها. وقد كان لهذا الأسلوب في خطبة الإبراهيمي حظ وافر باعتباره يهدف إلى تقرير الحقائق و تأكيدها يقول: (**انشقت اللغة العربية من أصلها السامي في عصور متوغلة في القدم)** ، نجد أيضا قوله: (**إن كثيرا من العلوم التي بنيت عليها الحضارة الغربية لم تصلها إلا على طريق اللغة العربية**)،وأيضا في قوله: **(إن العربية لم تخدم مدنية خاصة بأمة ،وإنما خدمت المدنية الإنسانية العامة)**

نجده كذلك في قوله :**(إن الأمم التي دخلت في الإسلام متفاوتة الدرجات)**،(**هذا فضل لغتكم عن المدنية الإنسانية)** وقوله :**(إن النهضة العربية الحاضرة في الشرق مفتقرة إلى**

الكثير من المصطلحات العلمية) وكذلك في **(إن المستعربين من علماء المشرقيات فريقان متفقان في الاعتقاد بجمال هذه اللغة)**

❖ **الأسلوب الإنشائي**

هو الأسلوب الذي لا يتم فيه انساب الكلام إلى الصدق أو الكذب، وهذا ما يجعله متحقق بمجرد التلفظ به وهو نوعين: طلبي (**الأمر، الاستفهام ، النهي، النداء ،التمني)** والغير طلبي (**التعجب، القسم، المدح، الذم)** وقد توفر الأسلوب الإنشائي على مستوى الخطبة في قوله : **(أيها الإخوان الكرام)** وهو أسلوب إنشائي طلبي غرضه النداء وفي قوله أيضا: **(ماذا صنعنا نحن ونحن أبناؤها حقيقة؟)** وهو أسلوب إنشائي طلبي غرضه الاستفهام، تجسد كذلك في قوله: **(لا تعلق الحافظة بأسبابه كلها)** وهو أسلوب إنشائي طلبي غرضه النفي ، وقوله **(لا يسعه وقت التكليف)** أسلوب إنشائي طلبي غرضه النهي .

ثانيا: الصور البيانية

"البيان علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية" [1]

تتميز الصور الفنية بمكانة مهمة في النصوص الإبداعية وذلك لأنها تضيف عليه نوعا من الطلاوة و الحسن، وللصور الفنية تعريفات متعددة تناولها العديد من الدارسين فكان لها دور فعال في إثراء المعنى المقصود ويعرفها البعض بأنها وسيلة ينقل بها الكاتب أفكاره ويصبغ بها خياله فيما يسوق عبارات وجمل، فالصورة البيانية تملك من الدلالة و الخيال ما يجعلها عاملا مؤثرا يساعد المتلقي على إدراك المعاني المطروحة ولا شك أن مثل هذا الإبداع لك تخلو منه الخطبة، يجب علينا دراسة كل صورة فنية على حدة فتكون الدراسة على الشكل التالي :

[1] – حفني ناصف وآخرون: دروس البلاغة، شرح: محمد بن صالح العثيمن،ط1، مكتبة أهل الأثر، الكويت، 2004، ص101.

1- التشبيه

التشبيه في اللغة: عرفه ابن منظور في لسان العرب بقوله:" الشبه والشبه والشبيه: المثل، والجمع أشباه، و أشبه الشيء ماثله(...) وشبه إياه وشبه به مثله، والمشبهات المتماثلات والتشبيه التمثيل"[1]

التشبيه في الاصطلاح : تعددت تعريفاته الاصطلاحية

عرفه ابن رشيق القيرواني (ت456هـ)بقوله: " التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو بجهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه. ألا ترى أن قولهم حد كالورد إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمامه"[2]

وعند ابن الأثير: أن يثبت للمشبه حكم من أحكام المشبه به

وعند السكاسي: وصف الشيء بمشاركته المشبه به في أمر

وعند الرماني: هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الأخر في حال[3]

فالتشبيه لون من ألوان التعبير الجيد تعمد إليه النفوس حين تسوقها الأسباب إليه فهو من الصور البيانية التي لا تختص بجنس أو لفة لأنه من التراث المشاع بين الأنواع البشرية جميعا ذلك لان أساس الصفات المشتركة أو المتشابهة أو المتضادة التي يراها الإنسان.

في الأشياء ويترتب على ذلك استساغته استعمال الألفاظ بعضها مكان بعض، يقوم التشبيه على أربعة أركان : المشبه و المشبه به ويسميان طرف التشبيه، ثم آداة الشبه ووجه الشبه، فتعد هذه الأركان الهيكل الأساسي الذي تقوم عليه علاقة المشابهة ، ففي الخطبة

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، د.ت، مج :13 ، مادة(ش، ب، ه)ص503

[2] – القيرواني (أبي الحسن بن رشيق)(ت.456هـ) : العمدة في صناعة الشعر ونقده ،تح: النبوي عبد الواحد شعلان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2000 ص468

[3] – علي الجندي: فن التشبيه (بلاغة ، أدب، نقد)،ط1، مكتبة نهضة، مصر،ج1، 1952، ص30.

التي بين أيدينا تتنوع مواطن التشبيه وتختلف أنواعه بين البليغ والتمثيلي فالتشبيه التمثيلي يتأسس على علاقة التشابه بين عنصرين مركبين يشبهان بعنصرين آخرين مركبين أي تمثيل صورة بصورة ونجده في قوله: " **فاللغة من الحضارة جزء لا كالأجزاء كاللسان من البدن عضو لا كالأعضاء**" أما التشبيه البليغ فكان له النصيب الأوفر في خطبة الإبراهيمي علما أن التشبيه البليغ هو ما حذفت فيه الأداة وحذف فيه وجه الشبه تجسد في الخطبة في قوله:" **التشريع الإلهي العادل سياجها** " المشبه: التشريع الإلهي العادل، المشبه به: سياجها وجه الشبه والأداة محذوف ، يتجسد أيضا في قوله :" **الظلم هو سوس** "المشبه: الظلم ، المشبه به : السوس، وأيضا نجده في " **العدل سياجها** "، " **العلم سراجها**" المشبه : العدل، العلم، المشبه به : السياج و السراج وقد حذفت الأداة ووجه الشبه .

إن التشبيه في هذه الخطبة كان له الأثر في توضيح المعنى وتقويته كما أضاف للغة جمالا.

2-الاستعارة

الاستعارة من مباحث علم البلاغة وهي في اللغة من قولهم، استعار المال اذ طلبه، وفي تعريف آخر : " الاستعارة مأخوذة من العارية أي نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه والعارية والعارة ما تداولوه بينهم، وقد أعار الشيء وأعاره منه وعاوره إياه والمعاورة و التعاور شبه المداولة، والمتداول يكون اثنين، وتعور واستعار، طلب العارية، واستعار الشيء واستعار منه طلب منه أن يعيره إياه[1]. "

وفي اصطلاح البيانيين: " هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينه صارفه على إرادة المعنى الأصلي"[2] والاستعارة ليست إلا تشبيها مختصرا لكنها أبلغ منه.

يعرفها ابن المعتز بقوله:" استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها"[3]

---

[1] – أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ج،01 ،1938 ص.136

[2] – أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبديع، المكتبة الحضارية صيدا بيروت،1999 ، ص262.

[3] – ابن المعتز(أبو العباس عبد الله) : البديع، ص11.

وأركان الاستعارة ثلاثة : "مستعار منه" وهو المشبه به ، "ومستعار له" وهو المشبه ، ويقال لهما الطرفان، ومستعار وهو اللفظ المنقول ، وتنقسم الاستعارة إلى قسمين:

أ- الاستعارة المكنية

وهي تشبيه حذف أحد طرفيه وسميت بهذا الاسم لأن المشبه به مخفي أو محذوف نجد مواطن الاستعارة المكنية في خطبة البشير الإبراهيمي بكثرة منها:

(جوانبها الفسيحة) فشبّه اللغة هنا بحديقة لها جوانب فسيحة فحذف المشبه وترك قرينة تدل عليه هي (الفسيحة) على سبيل الاستعارة المكنية.

تتموضع الاستعارة كذلك في قوله: (إلهاب الحماس) فشبه الخطاب الذي بين يديه بالنار التي تلتهب كل شيء، فحذف المشبه وترك قرينه تدل عليه هي (إلهاب) على سبيل الاستعارة المكنية نجدها أيضا في قوله: (انشقت اللغة العربية) فشبه اللغة العربية بالزجاج فحذف المشبه به وترك قرينه تدل عليه هي(انشقت)، نجدها كذلك في قوله: **(إن العربية قامت وحدها ببناء حضارة)**، فشبه اللغة العربية بالبناء وحذف المشبه به وترك قرينه دالة عليه هي (البناء) على سبيل الاستعارة المكنية، تتموضع أيضا في قوله: **(أن تفتحت أذهان المسلمين)** حيث شبح أذهان المسلمين بالباب الذي يفتح وهو شيء مادي بالأذهان فحذف المشبه به (الباب) وترك قرينه تدل عليه هي (الفتح)على سبيل الاستعارة المكنية نجد الاستعارة أيضا في قوله:**(اللغة الوحيدة التي حضنت العلم)**، فشبه اللغة بالأم التي تحتضن رضيعها فحذف المشبه به وترك قرينه دالة عليه هي(احتضنت)، على سبيل الاستعارة المكنية، لقد اخترنا من الخطبة بعضا من مواطن الاستعارة المكنية وليس كلها لكثره توظيفها.

ب-الاستعارة التصريحية

هي تشبيه حذف أحد طرفيه وسميت بالتصريحية لأننا صرحنا أو ذكرنا المشبه به وهو اللفظ المستعار يقول الإبراهيمي: (مسدود الشهية العلمية)حيث يشبه لنا العلم بالأكل

(المشبه) وهو محذوف وصرح بالمشبه به (الشهية) وترك قرينة داله عليه وهي مسدود على سبيل الاستعارة التصريحية.

خلاصة الاستعارة قد ركز الإبراهيمي على استعمال الاستعارة المكنية وأهمل الاستعارة التصريحية فلم نجد لها ذكر في خطبته إلا قليل كما أن غرض استعمال هذه الاستعارات وزيادة المعنى قوه ووضوح وجمالية تستمل القارئ وتجذبه.

3-الكناية

الكناية مظهر من مظاهر البلاغة وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته، والسر في بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة، بدليلها والقضية وفي طيّها برهانها[1].

عرفها الإمام عبد القاهر الجرجاني بقوله: "الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه. " [2]

ويكمن مفهوم الكناية في أنها تريد المعنى وتعبر عنه، بغير لفظه كأن نريد إثبات الكرم لإنسان ما ولكننا نعبر عنه بغير الفظ الموضوع له، وهناك ثلاث أركان للكناية : اللفظ المكنى به، والمعنى المكنى عنه، القرينة التي تجعل المعنى حقيقي غير مراد سوى كانت هذه الإرادة ممكنة أو غير ممكنة.

الكناية تعطي للنص الأدبي قدرة هائلة تكشف من خلالها مواطن الجمال فيه، وتتجسد الكناية في الخطبة التي بين أيدينا في قوله: (لغة القرآن) وهي كناية عن موصوف وهي "اللغة العربية". تتجسد كذلك في قوله: (أيدي الغوائل) وهي كناية عن موصوف وهم "الأمم الغربية" ، وأيضا نجدها في قوله: (الناقل الأمين) كناية عن موصوف هم "العرب" ، وأيضا

---

[1] – أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبديع ص293.

[2] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، تع: محمود محمد شاكر، د. ط ،د.ب ،د.ت ص.66

في قوله:(تبارى هواة الكتب في طلبه) كناية عن البحث و التنقيب، فالكناية من أساليب البيان التي لا يقوى عليها إلا كل بليغ متمرس فتضفي على المعنى حسنا وبهاء .

4-المجاز

المجاز مشتق من جاز الشيء يجوزه إذ تعداه، سموا به اللفظ، الذي يعدل به عما يجيبه أصل الوضع لأنهم جازوا به موضعه الأصلي، يعرفه عبد القاهر الجرجاني في الأسرار مبينا معناه في اللغة و الاصطلاح بقوله : "المجاز "مفعل" من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة، وصف بأنه " مجاز" على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي ، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولا"[1]

يعد المجاز إلى جانب الحقيقة من طرق صوغ الكلام حيث أن الألفاظ تتطور معانيها الأولى إلى معان جديدة، وهي ما يطلق عليها "المجاز" وهو من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة لإيضاح المعنى، إذ به يخرج المعنى متصفا بصفه حسية تكاد تعرضه على عيان السامع لهذا أبدعت العرب في استعمال المجاز لميلها إلى الاستمتاع في الكلام وإلى الدلالات على كثره معاني الألفاظ[2]. تتمكن أركان المجاز في خمسة أمور[3] هي:

أ-الكلمة

ب-المعنيان: المعنى الحقيقي الذي وصفت له الكلمة والمعنى المجازي الذي استعملت فيه الكلمة ثانيا

ج-العلاقة: وهي الصلة بين المعنيين

د-القرينة: وهي التي توضح المعنى الحقيقي غير المراد وأن المعنى المجازي هو المقصود

---

[1] – الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تح : عبد الحميد هنداوي، ط2، لبنان، دار الكتب العلمية،2001،ص278.

[2] – أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبديع ص249.

[3] – فضل حسن عباس، البلاغة فنونها و أفنانها علم البيان والبديع ،ط10،الأردن، دار الفرقان للنشر و التوزيع، 2000،ص236.

ما يهمنا في كل هذا هو أن خطبة البشير الإبراهيمي لم تخلوا من ضرب المجاز رغم قلته حيث جاء فيها ما يلي: (وهنا النقطة التي سقنا هذا الحديث) مجاز مرسل علاقته الجزئية ، يتجسد كذلك في قوله: (يحمدون للدهر أن هيأ لهم مجاورة المسلمين) مجاز مرسل علاقته الزمانية ، جاء أيضا في قوله: (طوقت العالم) مجاز مرسل علاقته الكلية

5-الإيجاز

وهو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل، فهو يعتبر من أهم الآليات البلاغية ووسيلة من وسائل التأثير وإقناع المتلقي[1]. تجسد الإيجاز في هذه الخطبة ونجده في قوله: (لو لم تكن اللغة العربية لغة عالمية لما وسعت علوم العالم، وما العالم إذ ذاك إلا هذه الأمم التي نقل عنها المسلمون) هي كلمات قليلة لكن المعنى منها كثير، يتموضع كذلك في قوله: (وصحح العلل وكشف عن الأوهام وانتقد انتقاد المستقل).

ثالثا: الموسيقى

إن الموسيقى في النثر تتمثل في ما يضيف على النص والكلام، حسنا وجمالا ووقعا موسيقيا من محسنات بديعية و غيرها .

إن البديع لغة: المخترع الموجد على غير مثال سابق، وهو مأخوذ من قولهم بدا الشيء، وأبدعه اخترعه لا على مثال

واصطلاحا: هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة وتكسوه بهاء ورونقا بعد مطابقته لمقتضى الحال ووضوح دلالته على المراد[2].

---

[1]- خولة ناصري: الحجاج في خطب البشير الإبراهيمي: دراسة في الآليات البلاغية و اللغوية ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص أدب جزائري، 2018-2019، جامعة 8 ماي 1945 قالمة ، ص95.

[2] - أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبديع، ص298.

إن المحسنات البديعية تعد من ضروب البديع التي تضيف على النص الأدبي نوعا من الجمال من ناحية الشكل والمضمون ولتحديد هذه المحسنات في الخطبة لابد من تحديد معالمها:

1- المحسنات المعنوية

أ- الطباق

الطباق والتطبيق والمطابقة والتضاد ومجاورة الأضداد مصطلحات تتردد بكثرة في كتب التراث البلاغي للدلالة على هذا الفن البديعي الذي يعد في طليعة المحسنات البديعية المعنوية التي نالت عناية البلاغيين قديما وحديثا.

الطباق في اللغة معناه الموافقة، قال الخليل رحمه الله :" طابقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حذو واحد"[1]، والطباق في اصطلاح البلاغيين: الجمع بين لفظين متضادين في الكلام يتنافى وجود معناهما معا في شيء واحد وفي وقت واحد، أي أن تجمع بين معنيين متقابلين في كلام واحد[2]، وهو نوعين اثنين:

❖ **طباق الإيجاب:** وهو ما يختلف فيه الضدان ايجابيا وسلبيا وهو نوعان حقيقي ومجازي[3]، وقد تجسد هذا الأخير في الخطبة: (أصلا، فرعا)، (الظلم ، العدل) ، (الأخير، الأول)، (الباطل، الحق)، (الكذب، الصدق)، (الوهم ، الحقيقة)، (الجهل ، العلم)،(الخامدة، المتحركة)، (تزيد، تنقص)،(يستسهل، صعب)،(ضيق، سعة)،(الأواخر، الأوائل)، (عربية، غربية)

[1] – ابن المعتز (أبو العباس عبد الله) : البديع، ص48.

[2] – زين الخويسكي، أحمد محمود المصري: فنون البلاغة، ص191.

[3] – أحمد أبو المجد الواضح في البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، دار جرير لنشرع و التوزيع، ط1، 2010م، عمان الأردن، ص175

❖ **طباق السلب:** وهو الجمع بين فعلين مصدرهما واحد اتفقا في اللفظ والمعنى وأحدهما مثبت والأخر منفي[1]، تجسد هو الآخر في خطبة الإبراهيمي: (نقلوا، لم ينقلوا).

ب- المقابلة

المقابلة في اللغة أصلها من الفعل قبل تقبل وقابل المرء: واجهه، وقابل الشيء بالشيء: عارضه به ليرى وجه التماثل أو التخالف بينهما.

وتكون المقابلة بمعنيين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابلها أي (ضدهما في المعنى) على الترتيب[2] ونجد موضع المقابلة في خطبة البشير الإبراهيمي متجسدة فيما يلي:(المنفعل القلق، الرصين الهادئ) فقابل هنا المنفعل بالرصين والقلق بالهادئ.

ج- مراعاة النظير

أو التناسب أو الائتلاف أو التوفيق: وهو أن يجمع بين اثنين في الكلام جمع تناسب لا جمع تضاد[3]، وقد تجسد في الخطبة في قوله : (أن تهن في خدمتها أو تقصر في حقها)، (و إنما عماده البحث والتنقيب و إقامة الشواهد)،(التي اجتمعت معها في مناسب المجد و أرومات الفخر)، (وإشراك الناس في خيراتها ومنافعها)، (تسهل على الناس سبيلها وتمهد لهم مقيلها)

د- التورية

❖ لغة: مصدر وريت الخبر تورية: إذ سترته، وأظهرت غيره إبهاما[4].

---

[1] – المرجع نفسه ص 176.

[2] – ابن المعتز (أبو العباس عبد الله) : البديع ، ص 60

[3] – محمود أحمد حسن المراغي: في البلاغة العربية علم البديع، ط1، دار العلوم العربية بيروت لبنان، 1991م،ص 82.

[4] – عاطف فضل محمد: البلاغة العربية، ط1، دار المسيرة للنشر و التوزيع، عمّان،2011م، ص225.

❖ أما اصطلاحا: هي" أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان قريب ظاهر، غير مراد وبعيد خفي هو المراد " [1]

ونجد أنها تجسدت في الخطبة التي بين أيدينا في قوله :(في خدمة هذه اللغة أيادي بيضاء) فكلمة أيادي هنا لها معنيين أحدهما قريب وهي الأيادي الحقيقية، وهذا المعنى يتبادر إلى ذهن الإنسان، وأما المعنى الثاني فهو المعنى البعيد الذي يدرك بالتأمل وهو الفريق الذي اهتم باللغة وهذا المعنى هو المراد أو المقصود.

نجدها أيضا في قوله: (إحياء أمهات علمية) كلمة أمهات هنا أيضا لها معنيين المعنى الحقيقي وهو الأم الذي يتبادر إلى الذهن من أول وهلة، والمعنى البعيد الذي يدرك بالتأمل وهو الكتب والمؤلفات القديمة والبحوث وغيرها وهو المعنى المراد.

2- المحسنات اللفظية

أ- الجناس

يعد الجناس أبرز المحسنات اللفظية وأكثرها نيلا لعناية البلاغيين قديما وحديثا، وقد تعددت أسماء الجناس في المؤلفات البلاغية وإن كانت هذه الأسماء المتعددة تدل على مسمى واحد في النهاية، فهو" الجناس والتجنيس والمجانسة والتجانس "، والملاحظ أن هذه المسميات كلها تدور في فلك التماثل والتشابه[2].

والجناس هو" أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليها "[3]، ينقسم الجناس الى قسمين رئيسيين هما: **الجناس التام** وشرطه أن تتفق حروف اللفظين في عددها

[1] – ابن المعتز (أبو العباس عبد الله) : البديع ، ص105.

[2] – زين كامل الخويسكي، أحمد مجمود المصري: فنون البلاغة ص137.

[3] – ابن المعتز (أبو العباس عبد الله) : البديع ،ص 36.

وترتيبها ونوعها وضبطها، **والجناس غير التام** وهو الجناس الذي يحدث بين لفظيه خلاف في أحد الشروط الأربعة.[1]

وقد تجسد في الخطبة التي بين أيدينا **الجناس غير التام (الناقص)** في قوله: (تعصب، متعصبين)،(العجب، العجاب)،(شعر، شعراء)،(الفكر، التفكير) (الوجدانيات، الوجدان).

ب- السجع

إن السجع في اللغة الكلام المقفى أو موالاه الكلام على روي واحد، وجمعه أسجاع وأساجيع، وهو مأخوذ من سجع الحمام، وسجع الحمام هو هديله وترجيعه لصوته[2]. ومنه فالسجع هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير وأفضله ما تساوت فقره وهو ثلاث أقسام أولهما **المطرف:** وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن واتفقتا في الحرف الأخير، ثانيهما **المرصع:** هو ما كان فيه ألفاظ إحدى الفقرتين كلها أو أكثرها مثل ما يقابلها من الفقرة الأولى وزنا وتقفية، وثالثهما **المتوازي:** وهو ما كان الاتفاق في الكلمتين الأخيرتين فقط.

وقد وظف الإبراهيمي في خطبته هذه السجع بكثرة نجد المتوازي في: (صحو الجو، صفو الدو)،(البيان، اللسان)، (وسائل، عوامل)، (خيراتها ، منافعها)، (سبيلها، مقيلها)، والمرصع في : (التزيين، التحسين، التلوين) ، (ليستقلوا، ليستغلوا، لينتفعوا) ،(تكوينها، تلوينها)، (تفكيرهم، عقلياتهم، أذواقهم، مشاربهم) ، (ضئيل، قليل)، والمطرف في : (تندرس، تنطمس). لقد كان للسجع أثر بالغ في توضيح المعنى وتحسينه وإعطائه للألفاظ نغما موسيقيا عذبا يلفت انتباه السامع.

[1] – محمود أحمد حسن المراغي: في البلاغة العربية علم البديع، ص110.

[2] – أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،ص331

ج- الاقتباس

وقد تطرقنا إليه فيما سبق ضمن الخصائص الفنية التي وظفها الإبراهيمي وهو كما عرفناه أن يضمن المتكلم كلامه شعرا كان أو نثرا شيئا من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف[1] وتجسد الاقتباس من القرآن الكريم في خطبته في قوله:(أمما قد خلت عمرت الأرض) وهنا اقتباس لفظ من القرآن الكريم من قوله تعالى:(قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَن فَسِيرُواْ فِے اِلَارْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عُقِبَةُ اُلْمُكَذِّبِينَ) آل عمران الآية:137.

وقوله كذاك (وامتثلوا أمر القرآن بالسير في الأرض) وهو لفظ مقتبس من قوله تعالى :(قُلْ سِيرُواْ فِے اِلَارْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ اَلْخَلْقَ ثُمَّ اَللَّهُ يُنشِے اُلنَّشْأَةَ الأخرة إِنَّ اَللَّهَ عَلَيٰ كُلِّ شَےء قَدِير) سورة العنكبوت الآية 19.

مما سبق نخلص إلى أن بلاغة الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بعيدة كل البعد عن التشدق والتصنع فأجاد التوظيف والسبك وصياغة الألفاظ وفقا لما يقتضيه الحال، فاتسم نصه هذا بالسهولة و الوضوح فنوع في الأساليب البلاغية من صور بيانية ومحسنات بديعية مما زاد الخطبة قوة وتأثيرا وأكسبها جمالية تقرع السمع وتلفت الانتباه وتخلق في النفس أثرا حسنا.

[1] – زين كامل الخويسكي، أحمد مجمود المصري: فنون البلاغة، ص227.

خاتمة

خاتمة

في نهاية هذا البحث الذي تضمن (العربية فضلها على العلم والمدنية، وأثرها في الأمم غير العربية دراسة موضوعاتية فنية) حاولنا قدر المستطاع الوقوف على أهم مضامين الخطبة في علاقتها بالواقع في العصر الذي قيلت فيه، ورصد أهم الظواهر الفنية المتعلقة بطرائق التعبير وآلياته وسبل تحسنه، وبعد ما بذلناه من جهد توصلنا إلى جملة من النتائج يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

– إن فن الخطابة في الجزائر مر بعدة مراحل فرضتها الظروف التي عاشها الشعب الجزائري عامة والمثقف خاصة، وكان لهذه الظروف أثر على هذا الفن، فكان له حظ من النضج والتألق في كل مرحلة حتى أضحى فنا قائما بذاته يشغل مساحة واسعة بين الفنون الأدبية الأخرى.

– لقد كان الإبراهيمي من أخطب خطباء الجزائر ومن الأدباء الذين تفوقوا في هذا النوع الأدبي، استفاد ممن قبله، ونشأ نشأة عربية إسلامية ساعدته على امتلاك أداة العبير وتطويعها لفكره، فترجم هذا الفكر أدبا راقيا وخطبا بليغة في إصلاح المجتمع وبناء الأمة على النهج الذي ارتضاه الله ورسوله عليه الصلاة والسلام.

– تناولت الخطبة موضوع البحث قضية اللغة العربية من مختلف الجوانب حيث سلط الخطيب الضوء على أهمية هذه اللغة بالنسبة للأمم العربية وغير العربية.

– اتسمت مضامين الموضوع المعالج بالسعة والثراء وبعد النظر، حملت في طياتها الكثير من المعارف والحقائق حول هذه اللغة العظيمة، وتحلى الإبراهيمي بالروح العلمية في المعالجة، ولم يخف التزامه تجاه اللغة وما تنطوي عليه من أبعاد الهوية.

– لقد كان للغة الموظفة دور كبير في انجلاء معانيها، حيث جنح الإبراهيمي إلى استعمال الألفاظ السهلة الواضحة التي تناسب الطريقة العلمية التي اعتمدها، مما جعل هذه الخطبة أقرب إلى البحث العلمي.

– إن قدرة الخطيب البلاغية مكنته من بعث الحقائق دون أن يطبعها تكرار معيب، فتميزت الخطبة بجودة الأسلوب وتناسق الأفكار، والعبارات.

– امتازت خطبة الإبراهيمي بجودة الأسلوب حيث استطاع من خلالها تقرير بعض المعارف والمعلومات بطريقة سهلة تلفت انتباه الجمهور

– تنوعت الصور البيانية في متن الخطبة بين الحضور والغياب، حيث لعبت فصاحة الخطيب ولغته وبلاغته وتفطنه لاستعمال كل لفظ في سياقه الصحيح دورا مهما في إبعاد متنها من التصنع والتكلف، ذلك أن كل ما جاء به كان نابعا عن حنكته الأدبية.

– نص الخطبة يعد نصا إبداعيا لا يقل مكانة عن النصوص الإبداعية النثرية الأخرى بما يحتويه من لغة فنية وصياغة أدبية محكمة.

– تعد الخطبة –العربية فضلها على العلم والمدنية وأثرها في الأمم غير العربية – وثيقة تؤرخ لمرحلة الاستعمار، الذي كان يستعمل كل الوسائل لطمس معالم العربية، وفي مقابل ذلك تعكس تفاني المخلصين في الدفاع عن هذه اللغة.

وختاما لكل شيء إذا ما تم نقصان، ونحن لا ندعي كمال هذا العمل، وحسبنا أننا قاربنا هذه الخطبة البليغة الهامة من جوانب معينة، وتبقى نصا إبداعيا مفتوحا للبحث وفق مقاربات من جوانب أخرى.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1-إبراهيم البدوي : فن الخطابة ، دار القول الثابت ، تو : دار المحجة البيضاء ، ط3، 2008.

2-إحسان النص : الخطابة السياسية في عصر بني أمية ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا .

3-أحمد الحوفي : فن الخطابة ، دار النهضة للطباعة والنشر ، القاهرة ، دط .

4-أحمد الشايب: الأسلوب. دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبه النهضة المصرية، ط2 1945م.

5-أحمد طالب الإبراهيمي : آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1،ج1،(1929-1940)

6-أحمد طالب الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي، ط1،ج3:عيون البصائر،(1947-1952).

7-أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبديع، المكتبة الحضارية صيدا بيروت،1999 م.

8-أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، ج1، 1938م.

9-أحمد أبو المجد الواضع في البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، دار جرير لنشر و التوزيع، ط1، 2010م، عمان الأردن.

10- آسيا شرطيوي، الدعوة إلى العلم في الشعر الجزائري الحديث: دراسة موضوعية تحليلية فنية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في أدب الحركة الوطنية 2008-2009 ، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة.

11- أنطوان القوال : فن الخطابة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان،ط1 ،1996.

12- الجرجاني(علي بن محمد السيد الشريف): معجم التعريفات ، تص: محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ،القاهرة 2004.

13- جورج غريب : صدر الإسلام ، دار الثقافة ،بيروت ، لبنان ،ط4، 1983.

14- حفني ناصف وآخرون: دروس البلاغة، شرح: محمد بن صالح العثيمن،ط1، مكتبة أهل الأثر، الكويت، 2004م

15- خولة ناصري: الحجاج في خطب البشير الإبراهيمي: دراسة في الآليات البلاغية و اللغوية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر ، تخصص أدب جزائري، 2018-2019، جامعة 8ماي 1945قالمة.

16- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي) : أساس البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان،ج1،ط1998.

17- زين كامل الخويسكي، أحمد محمود المصري: فنون البلاغة، ط1، دار الوفاء الدنيا الطباعة والنشر،2006م

18- شربيط أحمد شربيط : تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية، دار القصبة للنشر، د ط، 2009م.

19- عبد الله ركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث 1930-1974 ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر.

20- عزا لدين إبراهيم : رؤية مشرقية لبعض إنجازات الإبراهيمي ، الملتقى الدولي للإمام محمد البشير الإبراهيمي ،الجزائر2005،ط1،دار العرب الإسلامي ،بيروت، 2006م.

21- عبد القاهر الجرجاني (أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني) دلائل الاعجاز، تح محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط5، 2004م.

22- عاطف فضل محمد: البلاغة العربية، ط1، دار المسيرة للنشر و التوزيع، عمّان، 2011م.

23- أبو عبد الرحمان الخليل ابن أحمد الفراهيدي(170ه):العين ، تحقيق مهدي مخزومي وإبراهيم السامرائي ، د ط، دس،ج4.

24- عبد المالك مرتاض : فنون النثر الأدبي في الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط،1983.

25- عبد المالك مرتاض :نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925 -1954 ، النهضة الفكرية ، النهضة الصحفية و الأدبية ، النهضة التاريخية ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 1983م.

26- علي الجندي: فن التشبيه(بلاغة، أدب، نقد)،ط1، مكتبة نهضة مصر،ج1، 1952م

27- فضل حسن عباس: البلاغة فنونها و أفنانها علم البيان و البديع،ط10،الأردن، دار الفرقان للنشر و التوزيع،2000م.

28- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1،ج8 ،1830-1954 .

29- القيرواني (أبي الحسن بن رشيق): العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: النبوي عبد الواحد شعلان،ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2000م.

30- كلايف بل: المدنية، تر: محمود محمود ، القاهرة، المركز القومي لترجمة، 2009، ع1346م.

31- مازن صلاح محمد مطبقاني: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1939، تقديم أبو القاسم سعد الله، عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر 2011م.

32- مالك عوايدي: تغريب اللسان العربي وأثره على الانتماء في فكر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، جامعة سوق هراس ، مجلة أبوليس، ع5،جوان2016م.

33- محمود أحمد حسن المراغي: في البلاغة العربية علم البديع، ط1، دار العلوم العربية بيروت لبنان، 1991م.

34- محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر، المطبعة التجارية ، الإسكندرية ، ج1، 1903.

35- محمد مصايف : النثر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1983

36- محمد طاهر درويش ، الخطابة في صدر الإسلام ، دار المعارف ، مصر، ط2 ، 1968.

37- محمد عباس: البشير أدبيا، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية، الجزائر، ج2.

38- محمد كرد على: المستعربون من علماء المشرقيات، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق م23،ج،1948م.

39- ابن المعتز(أبو العباس عبد الله) : البديع، تح: عرفان مطرجي مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة و النشر،ط1، 2012م.

40- ابن منظور الأنصاري (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين) : لسان العرب، دار صادر ،بيروت مج4، ط1، 1968.

ملحق

ملحق رقم 01: نص الخطبة

العربية

فضلها على العلم والمدنية ، وأثرها فى الامم غير العربية

(الخطاب الذي القاه الاستاذ البشير الابراهيمى نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في احد أيام اجتماعها العام الماضي تفضل الاستاذ بتقديمه لهذه المجلة)

ايها الاخوة الكرام

كلفني الاستاذ الرئيس ان احاضر هذا الجمع العربي الحاشد بكلمات في ناحية زاخرة من نواحى لغته الجليلة ، وجانب عامر من جوانبها الفسيحة و هو فضلها على العلم والمدنية ، واثرها في الامم غير العربية — اشادة بفضل هذه اللغة الشريفة ، فى هذا الاحتفال العلمي ووفاء ببعض حقها علينا وحفزا لهممكم — وانتم ابناؤها البررة — ان تهن فى خدمتها او تقصر فى حقها ، واعلانا للمعنى الذي قامت جمعية العلماء بتحقيقه وهو احياء هذه اللغة واحياء الدين الذي ترجمت محاسنه واضطلعت بحمل اسراره

ثم عهد الي الاستاذ أن اكتب ما ألقيه عليكم ليعم نفعه السامعين والقارءين وان هذا الموضوع الذي سامنى الاستاذ الكتابة فيه موضوع علمي تاريخي لا تعلق الحافظة باسبابه كلها ولا تقوى على جمع اطرافه وانما عماده البحث والتنقيب واقامة الشواهد وحشد النصوص وهذا ما لا يسعه وقت التكليف وهو يومان تتخللهما فروض المجلس الادارى وواجبات جمعية العلماء — لذلك كله سلكت فى الكتابة مسلكا ادبيا يستمد من الخيال اكثر مما يستمد من الحقيقة ويعتمد على الخطابة أكثر مما يعتمد على البرهان ويرمي الى الهاب الحماس في نفوسكم اكثر مما يرمي الى تقرير الحقائق فيها

فان بلغت رضاكم بما تسمعون فذلك وان قصرت عن الغاية كان ضيق

برعاية موقع نور الهدى بوابة المغرب الإسلامي

الوقت وسعة الموضوع شفيعي في التقصير .

ايها لاخوة انشقت اللغة العربية من اصلها السامي في عصور متوغلة في القدم وجرت في ألسنة هذه الامة التي اجتمعت معها في مناسب المجد وارومات الفخر وشاء الله ان يكون ظهورها في تلك الجزيرة الجامعة بين صحو الجو وصفو الدو والمحبوة بجمال الطبيعة ومحاسن الفطرة لتتفتق اذهان عمار تلك الجزيرة عن روائع الحكمة مجلوة في معرض البيان بهذا اللسان ، وقد كانت هذه اللغة ترجمانا صادقا لكثير من الحضارات المتعاقبة التي شادها العرب بجزيرتهم . وفي اوضاع هذه اللغة الى الآن من آثار تلك الحضارات بقايا وعليها من رونقها سمات . وفي هذه اللغة من المزايا التي يعز نظيرها في لغات البشر الاتساع في التعبير عن الوجدانيات . والوجدان اساس الحضارات والعلوم كلها .

وهذه المدنية التي يردد لفظها الالسن ويصطلح المؤرخون على نسبتها الى امم مختلفة ويميزون بينها بطوابع خاصة ويشتد المتعصبون في احتكارها لامة دون امة كانها خلقت معها او كانها ذاتية لها — هي في الحقيقة تراث انساني تسلمه امة الى امة وتاخذه امة عن امة فتزيد فيه او تنقص منه بحسب ما يتهيا لها من وسائل . وما يؤثر فيها من عوامل . وخير الامم واوفاها للمدنية هي الامة التي تقوى الجهات الصالحة في المدنية وتكمل النقائص الظاهرة فيها . وتسعى في نشرها واشراك الناس كلهم في خيراتها ومنافعها — وخير اللغات ما كانت لسانا مبينا للمدنية تسهل على الناس سبيلها وتمهد لهم مقيلها

وقد اصبح احتكار المدنية لامم خاصة تقليدا شائعا متعاصيا عن التمحيص والنقد ومن هذا الباب احتكار الغربيين للمدنية القائمة اليوم . وما هي في الحقيقة الا عصارة الحضارات القديمة ورثها الغربيون عمن تقدمهم . وقاموا عليها بالتزيين والتحسين والتلوين وطبعوها بالطوابع التي اقتضاها الوقت وانتحلوها لانفسهم

برعاية موقع نور الهدى بوابة المغرب الإسلامي

اصلا وفرعا . ولا تزال التنقيبات عن مخلفات الحضارات القديمة تكشف كل يوم عن جديد يفضح هؤلاء المحتكرين ويقلل من غرورهم .

ومن العجائب ان هذه الحضارة القائمة الآن تساندت في تكوينها وفي تلوينها عدة لغات مختلفة الاصول ولم تستطع ان تقوم بها لغة واحدة على حين ان العربية قامت وحدها ببناء حضارة شامخة البنيان ولم تستعر من اللغات الاخرى الا قليلا من المفردات .

ايها الاخوان

ازدهرت حضارات الامم القديمة من العرب وفارس والهند والصين ومصر ويونان والرومان وزخرت علومها وكانت كلها مبنية على اصول عامة متشابهة وكانت لكل حضارة لغتها المعبرة عن محاسنها والكاشفة عن حقائقها وكان لتلك اللغات اثر بين في بقاء الحضارة وانتشارها وكل من بقاء الحضارة وانتشارها يتوقف على ما في اللغة من قوة وحيوية واتساع فاللغة من الحضارة جزء لا كالاجزاء كاللسان من البدن عضو لا كالاعضاء . ثم اندثرت تلك المدنيات والعلوم الا ما بقي من مآثر الاولى منقوشا على الاحجار وما بقي من مآثرها الثانية مكتوبا في الاسفار . ولولا اللغات لم نتبين من الحضارات ما تبيناه

ايها الاخوان كانت الحضارات القديمة تقوم على تعبد يسد شعور النفس البشرية بالخضوع الى قوة اعلى منها فان لم يكن هذا التعبد حقا طغت عليه الخرافة واصبحت الخرافة جزءا من المدنية . وتقوم على تشريع يوزع العدل بين الناس ويحفظ مصالحهم الدنيوية ، فان لم يستند هذا التشريع على وحي سماوي او نظام شوري طغى عليه التحكم والاستبداد واصبح الاستبداد جزءا من تلك المدنية . وتقوم على نتاج القرائح البشرية من علوم فان لم تكفل هذه القرائح حرية شاملة لا بسهما التزوير والكذب واصبح التزوير والكذب جزءا من تلك المدنية . وتقوم على لغة تسع تلك المدنية

برعاية موقع نور الهدى بوابة المغرب الإسلامي

ببيانها وافصاحها فان ضاقت اللغة خسرت المدنية وان حضارة اليوم لم تسلم من بعض هذه النقائص والعيوب .

كانت هذه حال الحضارات الى أن جاء الاسلام بالحضارة التي لا تبيد والمدنية المبنية على حكم الله وعاداب النبوة فكان التوحيد اساسها والفضائل اركانها والتشريع الالهي العادل سياجها واللغة العربية الواسعة البيان الواسعة الافق لسانها . وبذلك كله اصبحت مهيمنة على المدنيات كلها ووضع الاسلام هذه الحضارة الخالدة على القواعد الثابتة مما ذكرناه

وقامت اللغة العربية ببيانها على اكمل وجه وكانت الامة المدخرة لتشييد هذه الحضارة التي نسميها بحق الحضارة الاسلامية هي الامة العربية

فهم العرب لاول عهدهم بالاسلام وبارشاد القرءان ان هناك امما قد خلت عمرت الارض ومكن لها الله فيها وكانت اكثر اموالا واعز نفرا واثبت ءاثارا وامتثلوا امر القرءان بالسير في الارض والنظر في ءاثار تلك الامم والاعتبار بمصائرها وعواقبها ونبههم القرءان الى ان مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا . فكان هذا الارشاد القرءاني المتكرر حفزا الى التنقيب عن ءاثار المدنيات القديمة ودراستها والاطلاع على الصالح النافع منها والاخذ به . وكان من ءاثار هذا التنبيه القرءاني ان تفتحت اذهان المسلمين — ولا اعنيكم — الى دراسة هذه المدنيات واقتباس النافع منها وكان من فضل القرءان على العالم انه ابقى بهذا الارشاد على علوم كادت تندرس وعلى ءاثار مدنيات كادت تنطمس

ان الفائدة الكبرى التي يعلقها القرءان على السير في الارض والوقوف على ءاثار الامم البائدة هي الاعتبار بحال الظالمين وعقبى الظالمين ليعلم المعتبر ان اظلم هو سوس المدنيات فيقيم العدل واذا جاء العدل جاء العمران واذا جاء العمران قامت المدنية وكان العدل سياجها والعلم سراجها وهذه هي مدنية الاسلام .

برعاية موقع نور الهدى بوابة المغرب الإسلامي

ان ارشاد الاسلام للمسلمين باخذ الصالح النافع اينما وجد هو الذي دفعهم بعد تمكن سلطانهم وتمهد ملكهم . الى البحث عن الآثار العقلية للامم التى سبقتهم فاطلعوا على ما انتجت قرائح يونان وفارس والهند في العلم والآداب فنقلوها الى لغة القرءان ووجدوا فيها خير معين على ذلك .

ايها الاخوان هنا الجانب العامر من لغتكم وهنا النقطة التى سقنا هذا الحديث كله من اجلها وهنا الموضوع وهو فضل اللغة العربية على العلم والمدنية .

ايها الاخوان

لو لم تكن اللغة العربية لغة مدنية وعمران ولو لم تكن لغة متسعة الافاق غنية بالمفردات والتراكيب — لما استطاع اسلافكم ان ينقلوا اليها علوم يونان — وءاداب فارس والهند . ولألزمتهم الحاجة الى تلك العلوم بتعليم تلك اللغات ولو فعلوا لأصبحوا عربا بعقول فارسية وادمغة يونانية ولووقع ذلك لتغير مجرى التاريخ الاسلامي برمته

لو لم تكن اللغة العربية لغة عالية لما وسعت علوم العالم وما العالم اذذاك الا هذه الامم التى نقل عنها المسلمون

قامت اللغة العربية فى اقل من نصف قرن بترجمة علوم هذه الامم ونظمها الاجتماعية وءاداها . فوعت الفلسفة بجميع فروعها . والرياضيات بجميع اصنافها والطب والهندسة والادب والاجتماع وهذه هى العلوم التى تقوم عليها الحضارة العقلية فى الامم الغابرة والحاضرة . وهذا هو التراث العقلى المشاع الذى لا يزال ياخذه الاخير عن الاول وهذا هو الجزء الضرورى في الحياة الذى اما ان تنقله اليك فيكون قوة فيك واما ان تنتقل اليه في لغة غيرك فتكون قوة لغيرك . وقد تفطن اسلافنا لهذه الدقيقة فنقلوا العلم ولم ينتقلوا اليه .

وقد قامت لغتهم بحفظ هذا الجزء الضرورى من الضياع . بانتشاله من

برعاية موقع نور الهدى بوابة المغرب الإسلامي

أيدي الغوائل و بنقله الى الأواخر عن الاوائل و بذلك طوقت العالم منة لا يقوم بها الشكر ولولا العربية لضاع على العالم خير كثير .

ايها الاخوان

ان كثيرا من العلوم التى بنيت عليها الحضارة الغربية لم تصلها الا على طريق اللغة العربية باجماع الباحثين منا ومنهم وان المنصفين منهم ليعترفون للغة العربية بهذا افضل على العلم والمدنية ويوفونها حقها من التمجيد والاحترام . ويعترفون لعلماء الاسلام بانهم استذتهم في هذه العلوم عنهم اخذوها وعن لغتهم ترجموها وانهم يحمدون للدهر أن هيأ لهم مجاورة المسلمين بالاندلس وصقلية وشمال افريقيا وثغور الشام حتى اخذوا عنهم ما اخذوا واقتبسوا عنهم ما اقتبسوا ولا يزال هؤلاء المنصفون يذكرون فضل معاهد الاندلس العربية ومعاهد شمال افريقية ومعاهد الشام على الحضارة القائمة ولا يزالون ينتهجون بعض المناهج الدراسية الاندلسية فى معاهدهم الى الآن ولا يزالون يردون كل شيء الى اصله ويعترفون لكل فاضل بفضله

وها هنا ايها الاخوان مسألة يجب الكشف عن حقيقتها فقد كثرت فيها المغالطات وجنى عليها تعصب المتعصبين من ذوى الدخائل السيئة من الغربيين ومقلدتهم حتى اصبح باطلها حقا وكذبها صدقا ووهمها حقيقة ، وحتى اصبح هذا الوهم من المسلمات التى لا تقبل الجدل عند ابنائنا الذين تلقوا العلم على ايدى اولئك المتعصبين — وهى ان العرب ليس لهم فيما ترجموا الا النقل المجرد وانهم لم يزيدوا شيئا فى التراث الفكرى الذى نقلوه وان وظيفتهم في هذه الوساطة وظيفة الناقل الامين الذي ينقل الشيء كما هو ملفوفا من يد الى يد

اغلوطة ملأت كتب الكثير منهم وترددت على السنتهم يمهدون بها الى وصم العربى بانه بليد الفكر جامد القريحة سطحى التفكير مسدود الشهية

برعاية موقع نور الهدى بوابة المغرب الإسلامي

العلمية ويتوسلون بذلك الى تزهيد العربي في مزايا اسلامه واحتقاره لها ولهم .

والحقيقة التي يؤيدها الواقع ويشهد بها المنصفون منهم ان العرب حينما نقلوا علوم الاوائل كما كانوا يسمونها نقلوا بدافع وجداني الى العلم ورغبة ملحة فيه . وانهم نقلوا ليستقلوا وليستغلوا ولينتفعوا بثمرة ما نقلوا ولا يتم لهم هذا الاستقلال في العلم الا بالتمحيص والتصحيح

ومن الثابت عندنا أن عهد الترجمة كان عهد اضطراب في هذه العلوم المترجمة ردت فيه التبعة على المترجمين ثم انجلت الرغوة وعمل الفكر العربي الوقاد عمله فصحح اغلاط الفلاسفة وصحح نظريات الرياضة وجاء دور الاجتهاد في هذه العلوم فاستقل الفكر العربي بالفلسفة وكيفها على ذوقه الخاص . واستنبط في هذه العلوم طرائق وانواعا لم تكن معروفة من قبل للاوائل وصحح العلل وكشف عن الاوهام وانتقد انتقاد المستقل . وما كان الفارابي وابن سينا وابو سليمان المنطقي في المشارقة ولا ابن باجة وابن الطفيل وابن برجان وابن رشد وابو المذيل في الاندلسيين — بالمقلدين في علوم الاوائل .

ايها الاخوان ان العربية لم تخدم مدنية خاصة بامة . وانما خدمت المدنية الانسانية العامة مدنية الخير العام والنفع العام ولم تخدم علما خاصا بامة وانما خدمت العلم المشاع بين البشر بجمع فروعه النافعة . ومن يستقرىء خاصة هذه اللغة لعلم الطب وحده يتبين مقدار ما افاءت هذه اللغة على البشرية من خير ونفع

وقد كانت هذه اللغة في القرون الوسطى يوم كان العالم كله يتخبط في ظلمات الجهل هي اللغة الوحيدة التي احتضنت العلم وحمته ونصرته .

ايها الاخوان هذا فضل لغتكم على المدنية الانسانية وفضلها على الامم غير العربية واما فضلها على الامم العربية فانه يزيد قدرا وقيمة على فضلها على الامم الاخرى واذا قلنا — الامم العربية فاننا نعني الامم الاسلامية كلها ، لانها اصبحت عربية بحكم

برعاية موقع نور الهدى بوابة المغرب الإسلامي

الاسلام ولغة الاسلام .

فاللغة العربية منذ دخلت فى ركاب الاسلام على الامم التى اظلها ظله كانت سببا فى تقارب تفكيرهم وتشابه عقليانهم وتمازج اذواقهم وتوحيد مشاربهم وإن هذا لمن المناهج السديدة في توحيد الامم المختلفة الاجناس . ولولا العربية لاختلفت الامم الاسلامية في فهم حقائق الدين باختلاف العقليات الجنسية وقد وقع بعض هذا ولكنه من القلة بحيث لا يظهر اثره في الحركة العامة للامة .

ان الامم التي دخلت فى الاسلام متفاوتة الدرجات فى الانفعالات النفسية وانماط التفكير . متفاوتة في الادراك والذكاء متفاوتة في القابلية والاستعداد متفاوتة فى التصوير والتخيل ، ولكن اللغة العربية فتحت عليها افقا جديدة فى كل ذلك ما كانت تعرفها لولا العربية ودفعتها بما فيها من قوة وبما لها من سلطان الى التفكير والتعقل على منهج متقارب . وحفزت الافكار الخامدة الى التحرك وزادت الافكار المتحركة قوة على قوة

ايها الاخوان ان اللغة العربية هى التى قاربت بين الفكر الفارسي المنفعل القلق وبين الفكر البربرى الرصين الهادىء ثم هيأت لكل فكر قابليته .

واللغة العربية هى التى سهلت لهذه الامم المختلفة اسباب العلم والمدنية ومهدت لها الطرائق المؤدية اليهما حتى اخذت كل امة حظها منهما .

واللغة العربية هى التى افضلت على علماء الاسلام بكنوزها ودقائقها واسرارها وامدتهم بتلك الثروة الهائلة من المصطلحات العلمية والفنية التى تعجز اية لغة من لغات العالم عن احضارها بدون استعانة واستعارة . فبحثوا في كل علم وبحثوا فى كل فن وملأوا الدنيا مؤلفات ودواوين ومن عرف كتاب ابى حنيفة الدينورى فى النبات وكتاب ابى عبيدة فى الخيل وكتاب الهمدانى في تخطيط جزيرة العرب وكتاب الجاحظ فى الحيوان وكتب الايمة فى الطب والنجوم والابل رأى العجب

برعاية موقع نور الهدى بوابة المغرب الإسلامي

العجاب من اتساع هذه اللغة وغزارة مادتها . وعلم مقدار افضالها على الامة العربية كما ان من يقرأ شعر الشعراء الفرسيين من الفرس بهذه اللغة وشعر الشعراء الوصافين من الاندلس يتجلى له اي افضال افضلته العربية على تلك القرائح الوقادة التي وجدت في العربية فيضا لا ينقطع مدده . واضافته الى فيض الاستعداد

وما امتن الانتاج الادبي اذا كان يصدر عن اتساع في اللغة واتساع في الخيال .

ايها الاخوان

ان النهضة العربية الحاضرة في الشرق مفتقرة الى كثير من المصطلحات العلمية والصناعية وما زالنا نقرأ من سنوات عن اهتمام قادة النهضة بهذه المشكلة ونقرأ اختلافا في الوجهة وهل الاصلح البحث عن مصطلحات عربية اصيلة . او استعارة هذه المصطلحات من لغات العلم الاجنبية وان غاية ما استنجد به اصحاب الرأي الاول المعاجم اللغوية — واعتقد انه لوكانت الكتب العلمية والفنية التي كتبها اسلافنا موجودة بين ايدينا ولم تغلها غوائل الدهر لوجدنا فيها من هذه المصطلحات ما يفي بحاجتنا او يقارب ولكنها — وياللاسف — ضاعت . وضاعت علينا بضياعها ثروة لا تقوم بمال .

هذا كتاب الحيوان لابي حنيفة شدت في طلبه الرحال من عشرات السنين واتفقت على تحصيله بدر المال . وتبارى هواة الكتب في طلبه في جميع اقطار الارض فلم يعثر له على اثر . وان من يقرأ ما ينقله عنه ابن سيده في كتاب المخصص يستر خص في سبيله كل غال ويستسهل كل صعب

ايها الاخوان هذا عرض بسيط لبعض ما للغتنا من فضل على العلم والمدنية . وان هذا المبحث في حد ذاته موضوع طريف يحتاج الى بحث عميق ودراسة مستفيضة ويتطلب جهدا قويا ووقتا متسعا ولو ان باحثا عربيا يساعده وقته وحاله على استقراء هذا الموضوع لكتب فيه المجلدات ولبث في ناشئتنا روحا جديدة

برعاية موقع نور الهدى بوابة المغرب الإسلامي

من الحماس للفهم والتعلق بها والكد في تحصيلها والتعاظم بجمالها ولكان ذلك مقاوما لروح التزهيد الخبيثة التي لا بست عقولهم .

ايها الاخوان

ان المستعربين من علماء المشرقيات فريقان متفقان في الاعتقاد بجمال هذه اللغة والاعتراف بمزاياها على العلم والمدنية . مختلفا الدواعي والبواعث في معاملتها .

فريق ينظر اليها نظر الهون والمصلحة فينادى بموتها ويعمل على موتها ويزهد فيها الناس ويتجنى عليها وينحلها العيوب

وفريق ينظر اليها نظر العلم المجرد فيتعلمها باخلاص ويحض على تعلمها ويشيد بذكرها في المحافل والكتب .

وان لهذا الفريق في خدمة هذه اللغة ايادي بيضاء يستحقون عليها الشكر العظيم من ابناء هذه اللغة . فكم كتبوا عنها مؤلفات وكم عقدوا للبحث عن دقائها مؤتمرات وكم طبعوا من اسفارها القيمة في اللغة والادب والتاريخ والعلوم ولو لم يكن من فضلهم عليها الا احياء امهات علمية عجزنا نحن عن احيائها لكان ذلك موجبا لعرفان جميلهم واذا كان فضل العربية عليهم في القديم عظيما ، فقد قابلوا الفضل بفضل ولهم الشكر على كل حال . ان في هذه النقطة موضع اعتبار . وهي انه اذا كان الاجنبي عن هذه اللغة يعرف لها فضلها فيحيي من اثارها ما استطاع ويحث قومه على تعلمها والاستفادة من ذخائرها وحكمته من ورائه تجمع له مئات الالاف من اسفارها القيمة

فماذا صنعنا نحن ونحن ابناؤها حقيقة ؟

الحق ان ما صنعناه نحن لهذه الأم ضئيل وان ما انفقناه في سبيلها قليل . ولكن النية في خدمتها صحيحة . والرغبة في تعلمها ملحة

وعلى الله قصد السبيل

برعاية موقع نور الهدى بوابة المغرب الإسلامي

ملحق رقم 02: نبذة تعريفية مختصرة بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي

أ- مرحلة التكوين والتحصيل الأولى (1889-1911): ولد بقرية رأس الوادي بناحية سطيف بالمشرق الجزائري في 14 يونيو عام 1889 وفي بيت أسس على التقوى من بيوتات العلم والدين، وقد أتم حفظ القران الكريم على يد عمه الشيخ المكي الإبراهيمي الذي اكتشف مواهب المبكرة وكان له الفضل الأكبر في تربيته وتكوينه حتى جعل منه ساعده الأيمن في تعليم الطلبة.

ب- رحلته إلى المشرق: خرج الإبراهيمي من أرض الوطن متجها الى المشرق سنة 1911 وقد مر في طريقه إلى الحجاز تونس ليبيا ومصر، التي أقام بها ثلاثة أشهر والتي حضر بها دروس العلم في الأزهر حيث تعرف على أشهر علمائها واتصل بالعديد من العلماء والشعراء وعلى رأسهم أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومن خلال إقامته بدمشق أتيحت له فرصه الالتقاء بالعلماء ومجالستهم وتبادل المعارف ومن هنا نرى أن رحلته إلى المشرق كانت حافلة بالعلم والمعرفة، وفي المدينة المنورة واصل التعليم والتعلم ، ومن أبرز الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم الشيخ العزيز الوزير التونسي ، والشيخ حسين أحمد الفيض أبادي الهندي، الذين تركا أثرا بالغا في نفسه.

ج- رسالته في الجزائر: عاد إلى بلده سنة 1920 بعد أن انهي رحلته التي كانت مليئة بالمكتسبات العلمية والمعرفية وكان هذا بمثابة نضوج لشخصيته العلمية وكان هدفه إنقاذ الشعب الجزائري من الجهل والأمية التي مارسها الاستعمار في حقهم والحفاظ على الدين الإسلامي واللغة العربية من الضياع وكان الإبراهيمي على اتصال مع الشيخ عبد الحميد بن باديس واتفاقهما على تأسيس جمعيه الإخاء العلمي

وفي سنه 1931 تم تأسيس جمعيه العلماء المسلمين فانتخب ابن باديس رئيسا لها والإبراهيمي نائبا عنه، وكانت هذه الجمعية تدعو إلى محاربه الفساد والجهل الذي كان يزرعه الاستعمار الفرنسي ومن مميزات هذه الجمعية إنشاء مدارس لتعليم أبناء الجزائر، وفي العام الثاني من تأسيس الجمعية بدأ توسيع العلماء الكبار على المقاطعات الكبرى في

البلاد فاهتم الإبراهيمي بمقاطعة وهران، فاهتم بتعليم الكبار فكان يلقي دروسا في الحديث والتفسير ومحاضرات في التاريخ الإسلامي، وقد نفي الإبراهيمي إلى آفلو في سنة 1940م ، بحيث اختير وهو في المنفى رئيسا لجمعية العلماء المسلمين وكان يسير أمورها عن طريق الرسائل وبعدها عاد الإبراهيمي إلى الجزائر ليشارك شعبه فرحتهم بعيد الاستقلال والحرية، حتى وافته المنية في 20 ماي 1965 م .

آثاره: يقول الشيخ " لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة، مع هذه الجهود التي كانت تأكل العمر أكلا ولكني أتسلى بأنني ألفت لشعبي رجل، وعملت لتحرير أجسادهم وصححت له دينه ولغته"، من خلال هذا يتبين لنا أن البشير الإبراهيمي هو الذي رفع قلمه وساهم بكتابته حيث تحتوي على رسائل وموضوعات لنشر الوعي وإصلاح الفكر.

من مؤلفاته:

-كتاب أسرار الضمائر في العربية

-كتاب بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر

-كتاب التسمية بالمصدر

- كتاب النقابات في لغة العرب

- كتاب نظام العربية في موازين كلماتها

- كتاب الاطراد والشذوذ في العربية

- كتاب ترجيح الأصل في بناء الكلمات العربية

صورة للإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

ملخص

ملخـص

حاولنا في هذا البحث الموسوم: خطبة محمد البشير الإبراهيمي " العربية: فضلها على **العلم والمدنية وأثرها في الأمم غير العربية" دراسة موضوعاتية فنية**" الوصول إلى أهم القضايا الموضوعاتية والفنية لهذا النص معتمدين على التحليل، وفق خطة قوامها:

مدخل تضمن تعريف بمصطلحات العنوان كما يلي: مفهوم الخطابة عموما والخطابة في الأدب الجزائري خصوصا، ثم الخطابة عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

و في الفصل الأول تناولنا مضامين هذه الخطبة، التي تمثلت في ما يلي: اللغة العربية تأصيل تاريخي، فضل اللغة العربية على العلم والمدنية وأثرها في الأمم الأخرى، فضل اللغة العربية على الامة الإسلامية، اللغة العربية بين فضل الغريب وتقصير القريب.

أما في الفصل الثاني، فقد خصصناه للدراسة الفنية للخطبة، حيث سبرنا من خلاله أداة التعبير وأساليبه وطرق التصوير الفني وآلياته، وأدوات التحسين اللفظي وأثرها عند الإبراهيمي، وأهم ما يميز أسلوب الخطاب عنده.

وختمنا البحث بأهم النتائج التي يمكن إجمالها في ما يلي: سهولة الألفاظ ووضوح المعاني ودقة الوصف والتقرير، والتكرار، الاقتباس، وتنوع الصورة بين: الاستعارة، والكناية، والمجاز والتشبيه، وكثرة التحسين اللفظي بالمحسنات البديعية كالجناس، والسجع، والطباق والتورية، والمقابلة، والاقتباس.

الكلمات المفتاحية: الخطابة، البشير الإبراهيمي، العربية، الدراسة الفنية ، واللغة، الأسلوب.

Summary :

We attempted in this research, titled "Mohammed Al-Bashir Al-Ibrahim's Speech : Arabic Language, Its Superiority over Science and Civilization, and Its Impact on Non-Arab Nations - A Technical Study," to reach the most important thematic and artistic issues of this text, relying on analysis, according to the following plan :

The introduction included a definition of the terms in the title as follows : the concept of rhetoric in general and rhetoric in Algerian literature specifically, and then rhetoric in the works of Sheikh Mohammed Al-Bashir Al-Ibrahim.

In the first chapter, we addressed the content of this speech, which can be summarized as follows : the Arabic language as a historical foundation, the superiority of the Arabic language over science and civilization and its impact on other nations, the superiority of the Arabic language within the Islamic nation, and the Arabic language between the excellence of the foreign and the deficiency of the close.

As for the second chapter, we dedicated it to the artistic study of the speech, where we explored the means of expression, its methods, artistic imagery, and mechanisms, as well as verbal improvement tools and their impact according to Al-Ibrahim. We also highlighted the distinguishing features of his rhetorical style.

We concluded the research with the most important results, which can be summarized as follows : the ease of words, clarity of meanings, precision of description and narration, repetition, quotations, and the diversity of imagery, including metaphor, metonymy, figurative language, and simile, as well as the abundance of verbal improvement techniques such as parallelism, rhyme, alliteration, antithesis, contrast, and quotation.

Keywords : rhetoric, Al-Bashir Al-Ibrahim, Arabic language, artistic study, style.

فهرس المحتويات

المحـــــــــــــتـــــــــوى	رقم الصفحة
شكـــــــــــر وتقديـــر	**-**
الإهـــــــــــــــداء	**-**
مقـــــدمـــــــــــة	**أ-ج**
مدخل: مصطلحات العنوان	**4-14**
أوّلا: مفهوم الخطابة	**5**
1- لغة	**5**
2- اصطلاحا	**6**
ثانيا: الخطابة في الأدب الجزائري	**9**
1- مرحلة عهد الأمير عبد القادر	**9**
2- مرحلة ما بعد الأمير عبد القادر	**11**
3- مرحلة ظهور جمعية العلماء	**11**
ثالثا: الخطابة عند البشير الإبراهيمي	**13**
الفصل الأول: دراسة موضوعاتية	**15-36**
أولا: اللغة العربية	**17**
ثانيا: فضل اللغة العربية على العلم والمدنية و أثرها في الأمم الأخرى	**21**
1- فضل اللغة العربية على العلم والمعرفة	**21**
2- فضل اللغة العربية على المدنية	**26**
ثالثا: فضل اللغة العربية على الأمة الإسلامية	**31**
رابعا: اللغة العربية بين فضل الغريب وتقصير القريب	**34**
الفصل الثاني: دراسة فنية	**37-57**
أولا : اللغة والأسلوب	**38**

1- اللغة	**38**
2- الأسلوب	**41**
ثانيا: الصور البيانية	**46**
1- التشبيه	**47**
2- الإستعارة	**48**
3- الكنايـة	**50**
4- المجاز	**51**
5- الإيجاز	**52**
ثالثا: الموسيقى	**52**
1- المحسنات المعنوية	**53**
2- المحسنات اللفظية	**55**
خـــــــــاتمـــــة	**58**
قائـمة المصـادر والـمـراجع	**62**
مـــــلـــحـــــــق	**67**
فهـــــرس المحتويـــــات	**81**
فـــهـرس المـــلاحـــق	**83**
مـــلـــــــــــخص	**85**

رقم الملحق	الملحق	رقم الصفحة
01	نص الخطبة	62
02	نبذة تعريفية مختصرة بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي	72